فصل الخطاب

في شرح مسائل الجاهلية

لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب

تأليف

أَبِيْ المَعَالِي مَحْمُود شُكْرِي بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ الأُلوسِي

تقديم وتعليق

مُحِبِّ الدِّينِ الخَطِيْبِ

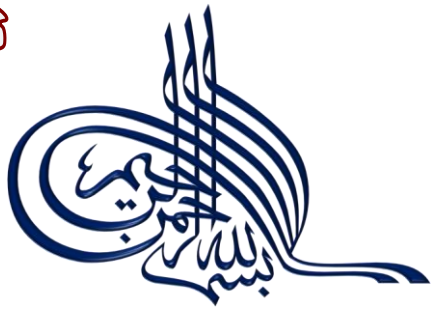

اسم الكتاب: فصل الخطاب

اسم المؤلف: محمود شكري الألوسي

الطبعة: الأولى

دار النشر:

عدد الصفحات : ١٨٤ صفحة حجم الكتاب : ١٧× ٢٥

مُحَرَّم ١٤٤٨هـ - ٢٠٢٦م

فصل الخطاب

في شرح مسائل الجاهلية

لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهارس

المحتويات

مقدمة الطبعة الأولي..... ١٢

مقدمة محمود شكري الألوسي ١٧

مقدمة المصنف ١٩

دعاء الصالحين ٢٠

التفرق ٢١

مخالفة ولي الأمر ٢٢

التقليد ٢٣

الاقتداء بالعالم الفاسق أو العابد الجاهل ٢٤

الاحتجاج بما كان عليه الآباء بلا دليل ٢٥

الاحتجاج على الحق بقلة أهله ٢٧

الاستدلال على بطلان الشيء بكونه غريبًا ٢٨

انخداع أهل القوة والحيلة بقوتهم وحيلتهم ٢٩

انخداع أهل الثروة بثروتهم ٣٢

الاستخفاف بالحق لضعف أهله ٣٥

وصم أنصار الحق بما ليس فيهم ٣٦

التكبر عن نصرة الحق لأن أنصاره ضعفاء ٣٧

استدلالهم على بطلان الشيء بكونهم أولى به لو كان حقا ٣٨

جهلهم بالجامع والفارق ٣٩

الغلو في الصالحين ٤٢

الاعتذار بعدم الفهم ٤٣

إنكارهم الحق الذي لا تقول به طائفتهم ٤٥

التمسك بخرافات السحر ٤٧

التناقض في الانتساب ٤٨

صرف النصوص عن مدلولاتها ٤٨

تحريف كتب الدين ٤٩

الانصراف عن هداية الدين إلى ما يخالفها ٥٠

كفرهم بما مع غيرهم من الحق ٥١

ادعاء كل طائفة حصر الحق فيها ٥٢

إنكار ما أقروا أنه من دينهم ٥٣

المجاهرة بكشف العورات ٥٤

التعبد بتحريم الحلال ٥٧

الإلحاد في أسماء الله سبحانه وصفاته ٦٠

نسبة النقائص إلى الله سبحانه ٦٣
تنزيههم المخلوق عما نسبوه للخالق ٦٨
قولهم بالتعطيل ٦٩
الشركة في الملك ٧٠
إنكار النبوات ٧١
جحودهم القدر واحتجاجهم به على الله ٧٣
مسبة الدهر ٨٠
إضافة نعم الله إلى غيره ٨٣
الكفر بآيات الله ٨٥
اختيار كتب الباطل ونبذ آيات الله ٨٦
القدح في حكمة الله تعالى ٨٨
الكفر بالملائكة والرسل، والتفريق بينهم ٩٣
الغلو في الأنبياء والرسل ٩٥
الجدال بغير علم ٩٦
الكلام في الدين بلا علم ٩٧
الكفر باليوم الآخر ٩٩
التكذيب بآية {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} ١٠٠

التكذيب بآية {لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة} ١٠١
الخطأ في معنى الشفاعة ١٠٢
قتل أولياء الله ١٠٣
الإيمان بالجبت والطاغوت ١١٤
لبس الحق بالباطل ١١٦
الإقرار بالحق للتوصل إلى دفعه ١١٧
اتخاذ النبيين أربابا ١١٨
تحريف الكلم عن مواضعه ١١٩
تلقيب أهل الهدى بألقاب غريبة ١٢١
التكذيب بالحق ١٢٧
الافتراء على المؤمنين ١٢٨
رمي المؤمنين بالفساد في الأرض ١٢٩
رمي المؤمنين بتبديل الدين ١٣٠
اتهام أهل الحق بالفساد في الأرض ١٣٠
تناقض مذهبهم لما تركوا الحق ١٣١
دعواهم العمل بالحق الذي عندهم ١٣٥
الزيادة في العبادة ١٣٥

النقص من العبادة ١٣٦
تعبدهم بترك الطيبات من الرزق ١٣٧
تعبدهم بالمكاء والتصدية ١٣٩
النفاق في العقيدة ١٤٠
دعاؤهم الناس إلى الضلال بغير علم ١٤٠
دعاؤهم إلى الكفر مع العلم ١٤١
المكر الكبار ١٤١
حالة علمائهم ١٤٢
زعمهم أنهم أولياء الله ١٤٤
دعوى محبة الله مع ترك شرعه ١٤٧
تمَنِّيهم على الله تَعالى الأماني الكاذبةَ ١٤٩
اتخاذ قبور الصالحين مساجد ١٥١
اتخاذ آثار الأنبياء مساجد ١٥٣
اتخاذ السرج على القبور ١٥٧
اتخاذ القبور أعيادا ١٥٨
الذبح عند القبور ١٥٩
التبرك بآثار المعظمين ١٦١

الفخر بالأحساب ١٦١
الاستسقاء بالأنواء ١٦٢
الطَّعْنُ في الأنسابِ ١٦٢
النِّياحَةُ ١٦٢
تعيير الرجل بفعل أمه وأبيه ١٦٥
الافتخار بولاية البيت ١٦٧
الافتخار بكونهم من ذرية الأنبياء ١٧٠
الافتخار بالصنائع ١٧٢
عظمة الدنيا في قلوبهم ١٧٣
ازدراء الفقراء ١٧٦
إنكارهم الملائكة والوحي والرسالة والبعث ١٨٠
إيمانهم بالجبت والطاغوت ١٨١
كتمان الحق مع العلم به ١٨١
القول على الله بلا علم ١٨٢
التناقض ١٨٢
الكهانة وما في حكمها ١٨٣

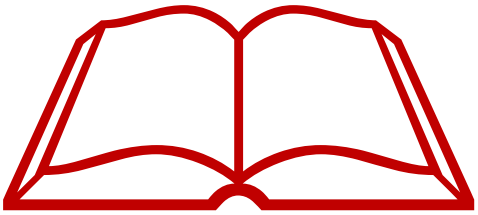

مقدمة الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، رَافِعِ لِوَاءِ الْهُدَى فِي الْعَالَمِينَ.

وبعد:

فَإِنَّ الْخُلَفَاءَ الرَّاشِدِينَ وَرِجَالَ الدَّوْلَةِ فِي زَمَنِ بَنِي أُمَيَّةَ كَانُوا يَعْهَدُونَ بِلِوَاءِ الْإِسْلَامِ إِلَى السَّوَاعِدِ الْعَرَبِيَّةِ تَخُوضُ بِهِ الْآفَاقَ شَرْقًا وَغَرْبًا، وَإِلَى الْأَلْسِنَةِ الْعَرَبِيَّةِ تَدْعُو إِلَيْهِ بَادِيَةً وَحَاضِرَةً.

فَكَانَتِ الدَّوْلَةُ عَلَى اتِّصَالٍ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ تُغَذِّي الْجَيْشَ مِنْ فِتْيَانِهَا، وَتُعْنَى بِأَحْوَالِ أَهْلِهِمْ فِي رُبُوعِهِمْ وَبَيْنَ جِبَالِهِمْ، وَتُوَسِّدُ الْأُمُورَ فِي الْأَقْطَارِ إِلَى النَّوَابِغِ مِنْ عُقَلَائِهِمْ وَحُكَمَائِهِمْ.

فَكَانَ الْإِسْلَامُ غَضًّا فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَهِدَايَتُهُ مَعْمُولًا بِهَا تَحْتَ الْخَيْمَةِ وَفِي بَيْتِ الشَّعْرِ وَبَيْنَ جُذُوعِ النَّخِيلِ، فَمَا بَرِحَ الْإِسْلَامُ بِذَلِكَ مَنْصُورًا، وَمَمَالِكُهُ بِازْدِيَادٍ، وَالنَّاسُ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ شُعُوبًا وَأُمَمًا، إِلَى أَنْ اسْتَدَارَ الزَّمَانُ مَرَّةً أُخْرَى.

فَجَرَّبَ الْخُلَفَاءُ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ الِاعْتِمَادَ عَلَى أَهْلِ السِّيَاسَةِ وَالْحَمِيَّةِ الدُّنْيَوِيَّةِ مِنَ الْفُرْسِ فِي إِقَامَةِ دَعَائِمِ مُلْكِهِمْ، وَلَمْ يَكُنْ أَهْلُ السِّيَاسَةِ وَالدُّنْيَا مِنْهُمْ كَمَا كَانَ أَهْلُ التَّقْوَى وَالدِّينِ.

فَأَبْدَتِ الْمَجُوسِيَّةُ نَوَاجِذَهَا، وَرَغْمَ الْفَتْكِ بِأَبِي مُسْلِمٍ فَإِنَّ الْحَالَ ظَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ إِلَى

زَمَنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُعْتَصِمِ، فَأَخَذَ دَفَّةَ السَّفِينَةِ مِنْ أَيْدِي الْفُرْسِ وَأَسْلَمَهَا إِلَى أَيْدِي غِلْمَانِهِ مِنَ التُّرْكِ، فَنَهَضَ مِنْ شَرٍّ وَاحِدٍ وَوَقَعَ فِي شَرَّيْنِ؛ لِأَنَّ لِلْفُرْسِ سَابِقَةً وَحَضَارَةً لَيْسَ لِهَؤُلَاءِ مِثْلُهُمَا.

وَفِي هَذِهِ الْحَادِثَةِ يَقُولُ الْأُسْتَاذُ الْإِمَامُ الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ عَبْدُهُ: خَلِيفَةٌ عَبَّاسِيٌّ أَرَادَ أَنْ يَصْنَعَ لِنَفْسِهِ وَلِخَلْفِهِ، وَبِئْسَ مَا صَنَعَ بِأُمَّتِهِ وَدِينِهِ. أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ الْجُنْدِ الْأَجْنَبِيِّ، وَأَقَامَ عَلَيْهِ الرُّؤَسَاءَ مِنْهُ.

فَلَمْ تَكُنْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا حَتَّى تَغَلَّبَ رُؤَسَاءُ الْجُنْدِ عَلَى الْخُلَفَاءِ، وَاسْتَبَدُّوا بِالسُّلْطَانِ دُونَهُمْ، وَصَارَتِ الدَّوْلَةُ فِي قَبْضَتِهِمْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ ذَلِكَ الْعَقْلُ الَّذِي رَاضَهُ الْإِسْلَامُ، وَالْقَلْبُ الَّذِي هَذَّبَهُ الدِّينُ.

بَلْ جَاؤُوا إِلَى الْإِسْلَامِ بِخُشُونَةِ الْجَهْلِ، يَحْمِلُونَ أَلْوِيَةَ الظُّلْمِ، لَبِسُوا الْإِسْلَامَ عَلَى أَبْدَانِهِمْ، وَلَمْ يَنْفُذْ مِنْهُ شَيْءٌ إِلَى وِجْدَانِهِمْ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ كَانَ يَحْمِلُ إِلَهَهُ مَعَهُ يَعْبُدُهُ فِي خَلْوَتِهِ وَيُصَلِّي مَعَ الْجَمَاعَاتِ لِتَمْكِينِ سُلْطَتِهِ... اهـ

مُنْذُ تِلْكَ الْأَزْمَانِ وَجَزِيرَةُ الْعَرَبِ مُهْمَلَةٌ؛ لَا تَعْنِيهَا الدَّوْلَةُ، وَلَا تَسْتَعِينُ بِهَا. وَكَانَتْ نَتِيجَةُ ذَلِكَ أَنْ عَادَتِ الْجَاهِلِيَّةُ إِلَى جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَاسْتَقَرَّتْ فِيهَا قُرُونًا طَوِيلَةً.

ثُمَّ ظَهَرَ فِي صَمِيمِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ رَجُلٌ عَظِيمٌ لَا يَزَالُ حَقُّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَهْضُومًا فِيهِمْ، وَأَعْنِي بِهِ الرَّجُلَ الْمُصْلِحَ، دَاعِيَةَ الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ لِلرُّجُوعِ إِلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ الْأُولَى، شَيْخَ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ، مُؤَلِّفَ أَصْلِ هَذَا الْكِتَابِ.

هَذَا الرَّجُلُ نَظَرَ فِيمَا عَلَيْهِ سُكَّانُ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ فِي زَمَنِهِ، فَرَآهُمْ فِي حَالَةِ سُوءٍ:

ـ الْعَصَبِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةُ كَالَّتِي نَهَى عَنْهَا هَادِي الْبَشَرِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ـ وَدُعَاءُ غَيْرِ اللهِ كَالَّذِي جَاءَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِاسْتِئْصَالِ جُرْثُومَتِهِ، وَالِاحْتِيَالُ بِمُخْتَلِفِ الْأَسْبَابِ لِلِابْتِعَادِ عَنِ الْحَقِّ وَالْهُدَى كَالَّذِي كَانَ قَبْلَ مَبْعَثِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ـ ثُمَّ التَّقَاطُعُ وَالتَّفَرُّقُ، وَالتَّوَاصِي بِالْبَاطِلِ دُونَ الْحَقِّ، وَالِاعْتِدَاءُ عَلَى حَقِّ الْغَيْرِ، وَالْعَطَالَةُ، وَالْكَسَلُ، وَالْخُرَافَاتُ وَالْأَوْهَامُ، وَالضَّغِينَةُ، وَالْفَوْضَى، وَالْقَذَارَةُ، وَالْمَكْرُ، وَالْخِدَاعُ، وَعَدَمُ الِانْقِيَادِ لِلنِّظَامِ، بِحَيْثُ كَانَ كُلُّ رَجُلٍ أُمَّةً وَحْدَهُ.

هَذِهِ أَمْرَاضٌ رَآهَا مُؤَلِّفُ أَصْلِ هَذَا الْكِتَابِ مَوْجُودَةً فِي قَوْمِهِ وَفِي بِلَادِهِ، وَرَأَى السُّنَّةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ تَدُورُ حَوْلَ تَطْهِيرِ الْإِنْسَانِيَّةِ مِنْ هَذِهِ الشَّوَائِبِ، فَقَالَ فِي نَفْسِهِ: إِذَنْ نَحْنُ فِي مِثْلِ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ!

حِينَئِذٍ عَاهَدَ رَبَّهُ عَلَى أَنْ يُعْلِنَ الْحَرْبَ عَلَى هَذِهِ الْأَمْرَاضِ، وَأَنْ يُدَاوِيَهَا بِالطِّبِّ النَّبَوِيِّ مِنْ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَلَمَّا : إِنَّهُ كَانَ رَجُلًا عَظِيمًا؛ لِأَنَّهُ ثَبَتَ فِي جِهَادِهِ حَتَّى لَقِيَ رَبَّهُ، فَحَوَّلَ اللهُ تِلْكَ الْأَوْطَانَ الْعَرَبِيَّةَ عَلَى يَدِهِ وَبِطَرِيقَتِهِ مِنْ أَخْلَاقِ الْجَاهِلِيَّةِ وَأَطْوَارِهَا إِلَى أُمَّةٍ تُقِيمُ الصَّلَاةَ سَاعَةَ الدَّعْوَةِ إِلَيْهَا، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ عِنْدَ اسْتِحْقَاقِهَا، وَلَا يَشْهَدُ رَمَضَانُ فِيهَا مَا يُشَاهَدُهُ فِي مِصْرَ وَالشَّامِ وَالْعِرَاقِ مِنْ فَضَائِحَ، وَيَحُجُّونَ بِقُلُوبٍ لَا مُتَّسَعَ فِيهَا لِغَيْرِ الْإِيمَانِ بِاللهِ، وَكُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ عِنْدَهُ كَفَنُهُ يَحْمِلُهُ مَعَ سِلَاحِهِ إِذَا نَادَاهُ الْإِمَامُ لِلْجِهَادِ.

إِنَّ تَحْوِيلَ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِمَّا كَانَتْ عَلَيْهِ إِلَى مَا صَارَتْ إِلَيْهِ لَيْسَ مِنَ الْأُمُورِ الْهَيِّنَةِ.

وَأَنَا كُلَّمَا تَصَوَّرْتُ فِي ذِهْنِي عَظَمَةَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ يَتَضَاءَلُ فِي نَظَرِي

كَثِيرٌ مِنَ الشَّخْصِيَّاتِ الَّتِي أَنَا مُعْجَبٌ بِهَا، فَأَنْظُرُ إِلَيْهِ بِعَيْنِ الْإِكْبَارِ وَالْإِجْلَالِ.

نَعَمْ، كَانَ فِي نَجْدٍ جُمُودٌ وَشِدَّةٌ، لَكِنَّهُمَا نَاشِئَانِ عَنْ عُزْلَةِ النَّجْدِيِّينَ فِي بِلَادٍ مُنْزَوِيَةٍ عَنْ مَمَرِّ الْأُمَمِ، وَأَنَا عَلَى يَقِينٍ بِأَنَّ اتِّصَالَ نَجْدٍ بِالْحِجَازِ، وَاتِّصَالَ النَّجْدِيِّينَ وَالْحِجَازِيِّينَ بِحُجَّاجِ الْأَقْطَارِ، وَازْدِيَادَ عَدَدِ الْحَجِيجِ بِاسْتِتْبَابِ الْأَمْنِ وَرُسُوخِهِ، سَيَكُونُ فِيهِ خَيْرٌ عَظِيمٌ لِلْحِجَازِ وَنَجْدٍ وَالْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ جَمِيعًا.

وبعد: فَإِنَّ هَذِهِ الرِّسَالَةَ إِحْدَى نَظَرَاتِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إِلَى الْمَرَضِ الْعَامِّ الَّذِي كَانَ سُكَّانُ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ مُصَابِينَ بِأَعْرَاضِهِ.

وَالظَّاهِرُ : أَنَّهُ جَعَلَهَا رُءُوسَ أَقْلَامٍ لِيَتَوَسَّعَ فِيهَا يَوْمًا مَا، فَلَمْ يَتَيَسَّرْ ذَلِكَ لَهُ، وَقَدْ طُبِعَتْ فِي الْهِنْدِ عَلَى اخْتِصَارِهَا الَّذِي جَعَلَهَا بِمَقَامِ فِهْرِسٍ لِلْمَسَائِلِ الْمِائَةِ الَّتِي خَالَفَ فِيهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ الْأُمِّيِّينَ وَالْكِتَابِيِّينَ.

وَلَمَّا رَأَى عَلَّامَةُ الْعِرَاقِ السَّيِّدُ مَحْمُودُ شُكْرِي الْأَلُوسِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ اخْتِصَارَهَا، وَأَدْرَكَ أَنَّهَا لَيْسَتْ تَأْلِيفًا وَلَكِنَّهَا مُذَكِّرَةٌ لِتَأْلِيفٍ، عَمَدَ إِلَى شَرْحِهَا.

وَلَا أَعْنِي شَرْحَ أَلْفَاظِهَا، بَلْ شَرْحَ مَعَانِيهَا، أَيْ إِنَّهُ أَتَمَّ الْعَمَلَ الَّذِي كَانَ يُرِيدُ الْمُصْلِحُ النَّجْدِيُّ الْعَظِيمُ أَنْ يُتِمَّهُ.

وَلَمَّا كَانَ كِتَابُ السَّيِّدِ مَحْمُودِ شُكْرِي الْأَلُوسِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لَا يَزَالُ مَخْطُوطًا يُخْشَى أَنْ تَجْتَاحَهُ الْجَوَائِحُ، فَقَدْ رَأَى صَدِيقِي أَدِيبُ الْعِرَاقِ السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بَهْجَةُ الْأَثَرِيُّ وَهُوَ خَيْرُ مَنْ أَنْجَبَهُمُ الْعَلَّامَةُ الْأَلُوسِيُّ أَنْ يَجْعَلَ هَذَا الْكِتَابَ هَدِيَّتَهُ إِلَيَّ عِنْدَ زِيَارَتِهِ الْقَاهِرَةَ فِي شَهْرِ صَفَرٍ سَنَةَ ١٣٤٧ هـ.

وَرَأَيْتُ مِنْ قَدْرِ هَذِهِ الْهَدِيَّةِ عِنْدِي أَنْ أُبَادِرَ إِلَى طَبْعِهَا وَوَضْعِهَا بَيْنَ أَيْدِي النَّاسِ تَعْمِيمًا لِفَائِدَتِهَا، وَأَنْ أَجْعَلَهَا هَدِيَّةَ الْمَكْتَبَةِ السَّلَفِيَّةِ إِلَى سَيِّدِ شَبَابِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ الْأَمِيرِ فَيْصَلِ السُّعُودِ؛ لِأَنَّهُ كَمَا وَرِثَ حُمَاتَهَا بِآبَائِهِ، وَرِثَ صَاحِبَ الدَّعْوَةِ نَفْسَهُ مِنْ طَرَفِ أُمِّهِ، فَلَمْ أَجِدْ أَحَدًا أَوْلَى بِهَا مِنْهُ.

وَاللهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ.

الْقَاهِرَةُ: ١٢ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ١٣٤٧ هـ.

مُحِبُّ الدِّينِ الْخَطِيبُ.

مقدمة محمود شكري الألوسي

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِلدِّينِ الْمُبِينِ، وَأَنَارَ لَنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْغُرِّ الْمَيَامِينِ.

أما بعد:

فَيَقُولُ الْعَبْدُ الْمُفْتَقِرُ إِلَى عَفْوِ اللهِ وَغُفْرَانِهِ مَحْمُودُ شُكْرِي الْأَلُوسِيُّ الْبَغْدَادِيُّ، كَانَ اللهُ تَعَالَى لَهُ، وَأَحْسَنَ عَمَلَهُ:

إِنِّي قَدْ وَقَفْتُ عَلَى رِسَالَةٍ صَغِيرَةِ الْحَجْمِ، كَثِيرَةِ الْفَوَائِدِ، تَشْتَمِلُ عَلَى نَحْوِ مِائَةِ مَسْأَلَةٍ مِنَ الْمَسَائِلِ الَّتِي خَالَفَ فِيهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ الْأُمِّيِّينَ وَالْكِتَابِيِّينَ، وَهِيَ أُمُورٌ ابْتَدَعُوهَا مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ، وَلَا أُخِذَتْ عَنْ نَبِيٍّ مِنَ النَّبِيِّينَ.

أَلَّفَهَا الْإِمَامُ مُحْيِي السُّنَّةِ، وَمُجَدِّدُ الشَّرِيعَةِ النَّبَوِيَّةِ، أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ النَّجْدِيُّ الْحَنْبَلِيُّ، تَغَمَّدَهُ اللهُ تَعَالَى بِرَحْمَتِهِ.

فَرَأَيْتُهَا فِي غَايَةِ الْإِيجَازِ، بَلْ كَادَتْ تُعَدُّ مِنْ قَبِيلِ الْأَلْغَازِ، قَدْ عَبَّرَ عَنْ كَثِيرٍ مِنْهَا بِعِبَارَةٍ مُجْمَلَةٍ، وَأَتَى فِيهَا بِدَلَائِلَ لَيْسَتْ بِمَشْرُوحَةٍ وَلَا مُفَصَّلَةٍ.

حَتَّى إِنَّ مَنْ يَنْظُرُهَا لَيَظُنُّ أَنَّهَا فِهْرِسُ كِتَابٍ، قَدْ عُدَّتْ فِيهِ الْمَسَائِلُ مِنْ غَيْرِ فُصُولٍ وَلَا أَبْوَابٍ.

وَلِاشْتِمَالِهَا عَلَى تِلْكَ الْمَسَائِلِ الْمُهِمَّةِ الْآخِذَةِ بِيَدِ الْمُتَمَسِّكِ بِهَا إِلَى مَنَازِلِ الرَّحْمَةِ، أَحْبَبْتُ أَنْ أُعَلِّقَ عَلَيْهَا شَرْحًا يُفَصِّلُ مُجْمَلَهَا، وَيَكْشِفُ مُعْضِلَهَا، مِنْ غَيْرِ إِيجَازٍ مُخِلٍّ وَلَا إِطْنَابٍ مُمِلٍّ.

مُقْتَصِرًا فِيهِ عَلَى أَوْضَحِ الْأَقْوَالِ، وَمُبَيِّنًا مَا أَوْرَدَهُ مِنْ بُرْهَانٍ وَدَلِيلٍ.

عَسَى اللهُ أَنْ يَنْفَعَ بِذَلِكَ الْمُسْلِمِينَ، وَيَهْدِيَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ الْمُتَّقِينَ.

فَيَكُونَ سَبَبًا لِلثَّوَابِ، وَالْفَوْزِ يَوْمَ الْعَرْضِ وَالْحِسَابِ، وَالْأَمْنِ مِنْ أَلِيمِ الْعَذَابِ.

وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْهِ أُنِيبُ.

مقدمة المصنف

بسم الله الرحمن الرحيم

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ : هذِهِ مَسائِلُ خالفَ فِيهَا رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما عَلَيْهِ أهلُ الجاهِلِيَّةِ الكِتابِيِّينَ والأمِّيِّينَ، مِمَّا لا غِنى لمُسْلِمٍ عَنْ مَعْرفَتِها.

فالضِّد يظهرُ حُسْنَهُ الضِّدُّ، وَبِضدِّها تتميز الأشْياءُ.

وَأهَمُّ ما فيها وَأشَدُّهُ خطَرا، عَدَمُ إيمانِ القَلْبِ بِما جاءَ به الرَّسولُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإنِ انْضافَ إلى ذلكَ اسْتِحْسانُ دِينِ الجاهِلِيَّةِ والإيمانُ بِهِ، تَمَّتِ الخَسارةُ والعياذُ باللهِ تعالى.

كما قال تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٥٢﴾ [العَنكَبُوت : ٥٢].

دعاء الصالحين

دعاء الصالحين (المسألة الأولى) :

۞ أنَّهم يَتعبَدونَ بإشْراكِ الصَّالِحينَ فِي دعاء اللهِ تعالى وعبادته، وَيَرَوْنَ ذلكَ مِنْ تَعْظيم الصَّالِحينَ الَّذي يُحِبُّهُ الله، ويُريدونَ بِذلكَ شَفاعتَهم عند الله لِظَنِّهِم أنَّهم يُحِبونَ ذلكَ.

كَما قَالَ تَعالى ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾ [الزُّمَر : ٢ - ٣].

وقالَ تَعالى : ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يُونُس : ١٨] .

وهذهِ أعظمُ مسألة خالَفَهم فيها رَسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأتى بالإخلاص، وأخْبَرَهم أنَّه دِينُ الله الَّذي لا يُقْبَلُ مِن أحَدٍ سِواهُ وأنَّ مَنْ فَعَلَ ما يسْتَحْسنونه، حَرَّمَ الله عليه الجَنَّةَ، ومأواه النَّارُ.

وهذه المسألةُ هي الدِّينُ كُلُّهُ، وَلأجْلِها تَفَرَّقَ النَّاسُ بينَ مسلمٍ وكافِرٍ، وعندَها وَقَعَتِ العَداوةُ، ولأجلِها شُرِعَ الجهادُ.

كما قال تَعالى : ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البَقَرَة : ١٩٣] .

التفرق

التفرق (الثانية) :

۞ أنهم مُتَفَرِّقونَ، ويَرَوْنَ السَّمْعَ والطَّاعةَ مَهانَةً ورَذالةً. فَأمَرَهُمُ الله بالاجتِماعِ، وَنَهاهُم عَن التفْرقة.

فقالَ عزَّ ذكرُه : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عِمْرَان : ١٠٢ - ١٠٣] .

يُقالُ: أرادَ سُبحانه بما ذُكرَ ما كانَ بين الأوسِ والخَزْرجِ مِنَ الحُروبِ التي تَطاوَلَت مِائةً وَعِشرينَ سَنَةً، إلى أنْ أَلَّفَ سُبحانَه بينهم بالإسلام، فَزالتِ الأحقادُ، قاله ابنُ إسحاقَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكان يومُ بُعاث آخِرَ الحُروبِ التي جَرَت بينهم، وقد فُصِّلَ ذلكَ في "الكامل".

ومِن النَّاسِ مَن يقولُ: أراد ما كان بَيْنَ مُشركي العَرَبِ مِنَ التَّنازعُ الطَّويلِ والقتالِ العريضِ، ومنه حربُ البَسوسِ، كما نُقلَ عن الحَسَنِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وَقالَ تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ﴾ [التَّغَابُن : ١٦] ، إلى غيرِ ذلِكَ من الآيات النَّاصَّةِ على النَّهي عنِ الاستبدادِ والتَّفَرُّقِ وعَدَمِ الانقيادِ والطَّاعة مِمَّا كانَ عليه أهلُ الجاهِلِيَّة.

مخالفة ولي الأمر

مخالفة ولي الأمر (الثالثة) :

۞ أنَّ مُخالَفةَ وليِّ الأمْرِ، وعَدمَ الانقيادِ له عندهم فضيلةٌ، وبعضهم يجعلهُ دينا.

فخالفهم النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك، وأمَرهم بالصَّبْرِ على جَوْرِ الوُلاةِ والسَّمعِ والطَّاعة والنّصيحةِ لَهُمْ، وَغَلَّظ في ذلك وأبدى وأعادَ.

وهذه الثلاثُ هي التي وَرَدَ فيها ما في "الصَّحيح" صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا: أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا، وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللهُ أَمْرَكُمْ».

📖 وروى البُخاريُّ عن ابنِ عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَن كَرِهَ مِنْ أميرِه شَيْئا، فلْيَصْبِرْ، فإنه مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلطانِ شِبْرًا، ماتَ مِيْتةً جاهِلِيةً».

📖 وَرَوى أَيْضًا عن جُنادةَ بنِ أبي أُميَّة، قال: دَخَلنا على عُبادةَ بنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو مريضٌ، فَقُلْنا: أصلَحَكَ الله، حَدِّثْ بِحَديثٍ يَنْفَعُكَ الله بِهِ سَمِعْتهُ مِن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قالَ: دَعانا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبايَعَنا، فكان فيما أخَذَ عَلَينا: «أنْ بايَعَنا على السَّمْعِ والطَّاعَة في مَنْشَطِنا وَمَكْرَهِنا وعُسْرِنا وَيُسْرِنا وأثَرَةٍ علينا، وأنْ لا نُنازعَ الأمرَ أهلَهُ، إلا أن تَرَوْا كُفْرًا بَواحًا عندكم من الله فيه برهانٌ».

والأحاديثُ الصحيحةُ في هذا البابِ كثيرة، ولم يقعْ خَلَلٌ في دِينِ النَّاسِ أو دُنياهُم إلاَّ من الإخلال بِهذِه الوَصِيَّةِ.

التقليد

التقليد (الرابعة) :

۞ أنَّ دِينَهم مَبْنِيٌّ على أُصولٍ أعْظَمُها التَّقْليدُ، فهوَ القاعدةُ الكُبرى لجميعِ الكفَّارِ مِنَ الأوَّلينَ والآخِرين.

كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ٢٣ * قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٢٤﴾ [الزُّخْرُف : ٢٣ - ٢٤].

فَأَمَرَهُمُ الله تعالى **بقوله:** ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣﴾[الأَعْرَاف:٣]، وقالَ تَعالى: [البقرة: ١٧٠] : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٧٠﴾ [البَقَرَة : ١٧٠].

إلى غير ذلكَ مِمَّا يَدُلُّ على أنَّ أهلَ الجاهِليَّة كانوا في رِبْقَةِ التقليدِ، لا يُحكِّمونَ لَهم رَأيًا، وَلاَ يُشْغِلونَ فِكرًا؛ فلِذلِكَ تاهوا في أودِيَة الجَهالَة. وهكذا كُلُّ مَنْ سَلَكَ مَسْلَكَهم في أيِّ عصرٍ كانَ.

الاقتداء بالعالم الفاسق أو العابد الجاهل

الاقتداء بالعالم الفاسق، أو العابد الجاهل. (**الخامسة**) :

۞ الاقتداءُ بِفَسَقَةِ أهلِ العِلْمِ وجهَّالِهِم وعبَّادِهِم فَحَذَّرَهُم الله تَعالى مِن ذلكَ **بقوله**: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التَّوْبَة : ٣٤].

وقال تعالى : ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المَائِدَة : ٧٧]

إلى آيات أُخَرَ تُنادِي بِبُطْلانِ الاقْتِداءِ بالفُسَّاقِ وَأهْلِ الضَّلالَة والغَيِّ، وذلِكَ مِنْ سنَنِ الجاهِلِيَّةِ وطرائِقِهمُ المِعْوَجَّةِ.

الاحتجاج بما كان عليه الآباء بلا دليل

الاحتجاج بما كان عليه الآباء بلا دليل (السادسة) :

۞ الاحتِجاجُ بِما كانَ عليه أهلُ القرونِ السَّالِفَةِ، مِن غَيرِ تَحكيمِ العَقْلِ، والأخْذِ بِالدَّليلِ الصَّحيح.

✍ وقد أبْطَلَ الله تَعالى ذلكَ بِقولِهِ: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدًا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡ﴾ [طه : ٤٩ - ٥٤] إلخ.

وقالَ تَعالى : ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٌ مُّفۡتَرًى وَمَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [القَصَص : ٣٦ - ٣٧].

وَقالَ عَزَّ ذِكْرُه: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾﴾ [المُؤمِنُون : ٢٣ - ٢٥]،.

وقالَ تَعالى: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىۡءٌ

يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ۝٧﴾ [ص : ٦ - ٧].

فَجَعَلوا مَدارَ احْتِجاجِهِم على عَدَمِ قَبولِ ما جاءَت بِهِ الرُّسُلُ أنَّه لم يَكُنْ عليهِ أسْلافُهُم، وَلا عَرَفوه مِنْهم، فانْظُرْ إلى سُوءِ مدارِكِهم، وَجُمودِ قرائِحِهِم، وَلو كانَت لَهُم أعينٌ يُبْصِرونَ بِها، وآذانٌ يَسمَعون بها، لَعَرفَوا الحَقَّ بدليلِهِ، وانْقادوا لِليَقينِ مِن غيرِ تَعْليلِهِ، وَهَكَذا أخلافُهُم ووراثهم، قَد تَشابَهت قلوبُهُم.

الاحتجاج على الحق بقلة أهله

الاحتجاج على الحق بقلة أهله (السابعة) :

الاعْتِمادُ عَلى الكَثْرَةِ، والاحْتِجاجُ بالسَّوادِ الأعْظمِ والاحْتِجاجُ عَلى بُطْلانِ الشَّيْءِ بِقِلَّةِ أهلِهِ.

فَأنْزَلَ الله تَعالى ضِدَّ ذَلِكَ وما يُبْطِلُهُ. فَقالَ : ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾ [الأنعام : ١١٦ - ١١٧].

فالكثرةُ على خِلافِ الحَقِّ لا تستوجِبُ العُدول عَنِ اتِّباعِهِ لِمَنْ كانَ لَهُ بَصيرةٌ وَقَلب، فالحقُّ أحَقُّ بالاتِّباع، وإن قَلَّ أنْصارُهُ.

كما قال تَعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص : ٢٤]، فأخْبَرَ الله عن أهلِ الحَقِّ أنَهم قليلون. غيرَ أنَّ القلَّةَ لا تَضرُّهُمْ.

تُعَيِّرُنا أنَّنا قَلِيلٌ عَدِيدُنا ❁❁❁ فَقُلْتُ لَهُمْ إنَّ الكِرامَ قَلِيلُ (١)

فالمقصود: أنَّ مَن لَهُ بَصيرةٌ ينظرُ إلى الدَّليلِ، ويأخذُ ما يَسْتنتِجُهُ البُرْهانُ، وإنْ قَلَّ العارِفونَ بِهِ، المُنْقادونَ لهُ، ومن أخَذَ ما عَليه الأكثرُ، وما أَلِفَتْهُ العامَّةُ من غيرِ نظر لدليلِ فهو مخطئٌ، سالك سبيلَ الجاهِلية، مقدوحٌ عند أهلِ البصائرِ.

---

(١) للسَّمَوْأَل.

الاستدلال على بطلان الشيء بكونه غريباً

الاستدلال على بطلان الشيء بكونه غريباً. (**الثامنة**) :

الاستدلال على بطلان الشيء بكونه غريبًا.

فرد الله تَعالى ذلك **بقوله**: ﴿فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ ١١٦﴾ [هُود : ١١٦] .

ومعنى الآية: ﴿فَلَوۡلَا كَانَ﴾ تحضيضٌ فيه معنى التفجُّع، أي: فهل كان ﴿مِنَ ٱلۡقُرُونِ﴾ أي: الأقوام المقتربة في زمان واحد ﴿مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ﴾ [هُود : ١١٦] أي ذوو خصلة باقية من الرأي والعقل، أو ذَوو فضل، على أن يكون البقية اسمًا للفضل، والهاءُ.(١) للنقل.

ومن هنا يقال: فلان من بقية القوم، أي: من خِيارهم، ومنه قولهم في الزوايا خبايا، وفي الرجال بقايا.

﴿يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [هُود : ١١٦] الواقع فيما بينهم حسبما ذكر في قَصَصهم، وفُسِّر الفساد بالكفر وما اقترن به من المعاصي، ﴿إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡ﴾ [هُود : ١١٦] استثناءٌ منقطعٌ، أي وَلَكِن قَليلا منهم أنْجَينا لِكَونهم كانوا ينهون.

---

(١) أي هاء التأنيث في (بقية).

انخداع أهل القوة والحيلة بقوتهم وحيلتهم

انخداع أهل القوة والحيلة بقوتهم وحيلتهم (التاسعة) :

الاسْتِدلالُ على المطلوب، والاحتجاجُ بِقومٍ أُعْطوا مِن القوَّةِ في الفَهْمِ والإدْراكِ، وفي القُدْرَةِ والمُلْكِ؛ ظَنًّا أنَّ ذلك يَمْنَعُهُم من الضَّلالِ.

فَرَدَّ الله تَعالى ذلك عليهم **بقوله سبحانه** : ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأحقاف : ٢٤ - ٢٦] .

ومعنى الآية: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ﴾ [الأحقاف : ٢٦] أي: قَوَّيْنا عادًا وأقْدَرْناهُم، و (ما) في **قولِهِ تَعالى:** ﴿فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ﴾ موصولةٌ أو موصوفةٌ و (إن) نافية، أيْ: في الَّذي، أو في شيءٍ ما مَكَّنَّاكم فيه من السَّعَةِ والبَسْطَةِ وطُولِ الأعمارِ وسائرِ مَبادئ التَّصَرُّفاتِ.

كما في قولِهِ تَعالى : ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾ [الأنعام : ٦] ولم يَكن النَّفيُ بلفظِ (ما) كراهة لِتكريرِ اللَّفظِ، وإنِ اخْتَلَفَ المَعْنى.

﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً﴾ [الأحقاف : ٢٦] لِيَسْتَعْمِلوها فِيْما خُلِقَتْ لَهُ، وَيَعْرِفوا لكُلٍّ مِنْها ما نِيْطَت بهِ مَعْرِفَتُهُ مِن فُنونِ النِّعَمِ، وَيُسْتَدَلُّ بِها على شُؤُونِ مُنْعِمِها

عَزَّوَجَلَّ وَيُداوموا على شُكْرِهِ جَلَّ ثَناؤُه ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ﴾ حَيثُ لم يَسْتَعْمِلوه في اسْتِماعِ الوحي ومواعظِ الرُّسلِ، ﴿وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ﴾ حَيثُ لم يَجْتَلوا بِها الآياتِ التكوينِيَّةَ المَرسومةَ في صحائفِ العالم، ﴿وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم﴾ حَيث لم يَسْتَعْمِلوها في معرفة الله تعالى ﴿مِّن شَيْءٍ﴾ أيْ: شَيْئًا من الأشياءِ، و(مِن) مَزيدَةٌ للتوكيدِ.

وقولهُ: ﴿إِذْ كَانُواْ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الأَحْقَاف : ٢٦] تَعليل للنَّفي، ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأَحْقَاف : ٢٦] مِن العذابِ الذي كانوا يَستَعجِلونَه بطريقِ الاستهزاءِ، ويَقُولونَ: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأَحْقَاف : ٢٢].

فَهذه الآية تبطِلُ الاحْتِجاجَ بقومٍ أُعْطُوا مِن القوَةِ في الفهمِ والإدراك وفي القدرةِ والملكِ؛ ظَنًّا أنَّ ذلكَ يَمْنَعُهُم منَ الضَّلالِ.

ألا تَرى أنَّ قومَ عادٍ كما أخْبَرَ عنهم التنزيلُ كانوا منَ القوَّةِ والبَسْطَةِ في الأموالِ والأبدانِ والإدْراكِ وسَعَةِ الأذهانِ وغيرِ ذلك مما لم يَكن مِثْلُهُ لِلعربِ الذينَ أدركوا الإسلامَ، ومَعَ ذلكَ ضَلُّوا عن سواءِ السَّبيلِ، وَكَذَّبوا الرُّسُلَ بالأباطيلِ.

فالتَّوفيقُ لِلإيمانِ باللهِ ورسلِه، والإذعان للحق، وسُلوكِ سبيلِهِ إنَّما هو فَضْلٌ منَ اللهِ تَعالى لا لِكَثرةِ مالٍ ولا لِحُسْنِ حالٍ.

وَمَنْ يُرِدِ الحَقَّ ويَسْتَدِلَّ بِكونِ مَن هو أحسنُ حالا منه لم يقبلْهُ، ولم يحُكِّم عقلَه، وَيَتَّبِعْ ما يوصِله إليه الدليل، فقد سَلَكَ سبيلَ الجاهِلية، وحادَ عن المحجَّةِ المرْضِيَّة.

ومِثْلُ هذه الآية **قولُه تعالى** : ﴿وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [البَقَرَة : ٨٩].

كانَ اليَهودُ يَعْلَمونَ مِن كُتُبِهم رسالةَ محمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنَّ الله سَيُرْسِلُ نبيًّا كَرِيما من العَرَبِ، وكانوا مِن قبلُ يَسْتَفْتِحونَ على المُشرِكينَ ببعثتِهِ، ويَقولونَ. يَا ربَنا أرْسِلِ النَّبيَّ الموعودَ إرسالُه؛ حتّىَ نَنتصرَ على الأعداءِ، فَلَمَا جاءَهُم ما عَرَفوا، وهو محمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَفَروا بهِ؛ حَسَدًا منهم أنْ تكونَ النُّبُوَّةُ في العربِ، وهم بزعمِهم أحسنُ أثاثا ورِئيا، ولَم يَعْلموا أنَّ النُّبُوَّةَ والإيمانَ بها فضلٌ من الله يُؤتيهِ من يَشاءُ.

ومِثلُها أيْضا **قولُه تعالى** : ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [البَقَرَة: ١٤٦ - ١٤٧]، الضَّميرُ في قولِه: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ﴾ عائد على العِلم في قولِه: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [البَقَرَة : ١٤٥] فكِتمانُهُم الحَقَّ، وعَدَمُ جَرْيِهم على مُقْتَضى عِلْمِهم لِما فيهم مِن الجاهِلِيَّةِ، والاعتقادِ أنَّ فضلَ الله مقصورٌ عليهم، لا يَتَعَدَّاهم إلى غيرهم.

وآيةُ [الأنعام] موافقةٌ لِهذِه الآيةِ لفظًا ومعنًى، وهي **قولُه تعالى**: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأَنْعَام : ١٩ - ٢٠]

انخداع أهل الثروة بثروتهم

انخداع أهل الثروة بثروتهم (**العاشرة**) :

الاسْتدلالُ بعطاءِ الدُّنيا على مَحَبَّةِ الله تعالى.

قال سُبحانه : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٣٤ وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ٣٥ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٦ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ٣٧ وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ٣٨ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩﴾ [سبإ : ٣٤ - ٣٩].

وقال عَزَّوَجَلَّ : ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذۡ نَادَيۡنَا وَلَٰكِن رَّحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٤٦ وَلَوۡلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٧ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ ٤٨ قُلۡ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبٖ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمَآ أَتَّبِعۡهُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٤٩ فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٠﴾ [القصص : ٤٦ - ٥٠]،.

وفي آيات أخرى يقول الله سبحانه ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ٧٦ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٧٨﴾ [القَصَص : ٧٦ - ٧٨] .

فقدْ كفانا الله تعالى إبطالَ هذهِ الخَصْلة الجاهِلِيَّةِ بقوله في الآية الأولى: ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [سَبَإ : ٣٦] وفي الآية الأخرى بقوله : ﴿أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ﴾ [القَصَص : ٧٨] إلخ.

فَعَلِمْنا مِن ذلك أنَّ محبَّة الله ورضاء الله إنَّما يَكون بطاعتِهِ والانقياد لرسلِه، والإذعانِ للحقِّ باتِّباعِ البُرهانِ.

وأمَّا كثرةُ المالِ، وسَعَةُ الرِّزقِ، وعيشُ الرَّخاءِ، فلا دليلَ فيه على نجاةِ المُنْعمِ عليه بمثلِ ذلك، ولو كانتِ الدُّنيا وما فيها تُعادِل عند الله جَناحَ بَعوضة ما سَقى مَنْ عصاه شربةَ ماءٍ.

قالَ سُبحانَه : ﴿وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفٗا مِّن فِضَّةٖ وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ ٣٣﴾ [الزُّخرُف : ٣٣].

وعلى ذلك قول القائل: [١]

كمْ عـــالم عـالِم أعْيَتْ مَذاهِبُهُ ❁❁❁ وجـــاهِل جـــاهِل تَلْقاهُ مَرْزوقا[٢]

ومما ينْسَبُ لبَعضِ الأكابرِ:

رضينا قِسْمَةَ الجَبَّارِ فـــــينا ❁❁❁ لَـــــنا عِلم وَلِلأعْداء مـــالُ

فإِنَّ المال يَفْنى عَنْ قـــــريبٍ ❁❁❁ وَإِن الـــــعِلْمَ بـــاقٍ لا يَزالُ

والشَّواهِدُ كثيرة.

والمقصود: أنَّ ما كانَ عليه أهلُ الجاهِلِيَّة مِنْ كونِ زَخارِفِ الدُّنيا مِن الأدلَّة على قُربِ مَن حازَها مِن الله وقَبوله عندَه فقول بعيد عن الحقِّ، ومذهب باطلٌ لا ينبغي لِمَنْ له بصيرة أنْ يُعَوِّلَ عَلَيْهِ.

---

(١) هو أبو الحسين أحمد بن يحيى المشهور بابن الرواندي الملحد.

(٢) وبعده:

هذا الذي ترك الأوهام حائرة ❁❁❁ وصير العالم النحرير زنديقا.

الاستخفاف بالحق لضعف أهله

الاستخفاف بالحق لضعف أهله (الحادية عشرة) :

الاسْتِدلالُ على بُطْلانِ الشَّيء بأخذِ الضُّعَفاءِ بِهِ، وضَعفِ فَهم من أخَذَ به، على ما يَدُلُّ عليه قولُ قومِ نوح له كما حَكاه عنهم الكِتابُ الكريمُ.

قَالَ تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ * قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ ﴾ [الشُّعَرَاء : ١٠٥ - ١١٥] .

فانْظُرْ إِلَى قومِ نُوح كَيفَ اسْتنكَفوا مِن اتِّباعِ نَبِيِّهم لِسَبَبِ اتِّباعِ الضُّعفاءِ له، وَذَلِكَ لِكونِ مَطْمَحِ أنظارِهِم الدُّنْيا، وإلا لو كانت الآخرةُ هَمَّهم، لاتَّبَعوا الحَقَّ أيْنَما وَجَدوهُ، ولكن لِجاهِلِيتِهم أعْرَضوا عَن الحَقِّ لاتِّباعِ شَهَواتِهم.

وانْظُرْ إلى هِرَقْلَ لَمَّا كان من العَقْلِ والبَصيرةِ على جانبٍ عظيمٍ، اعتقدَ اتِّباعَ الضُّعفاءِ دليلاً على الحَقِّ.

فقال في جُملةِ ما سألَ أبا سُفْيانَ عن رسولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:وَسَأَلْتُكَ عن أشْرافِ النَّاسِ اتَّبَعوه أم ضُعفاؤهم؟ فَذَكَرْتَ أنَّ ضُعَفاءَهم اتَّبَعوه، وهم أتْباعُ الرُّسُل.

ومِثْلُ ذلكَ **قوله تعالى**: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ

مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [هُود: ٢٥ - ٢٧].

وصم أنصار الحق بما ليس فيهم

وصم أنصار الحق بما ليس فيهم (**الثانية عشرة**):

من خصالِ أهل الجاهلية: رمي مَنِ اتَّبَعَ الحَقَّ بِعَدَمِ الإخلاصِ، وطَلَبِ الدُّنيا.

فَرَدَّ الله عَلَيهم بقولِ نَبِيِّهم الَّذِي حكاهُ الله عن نوحٍ في الآيات المذكورة في المسألةِ الحاديةَ عشرةَ، **بقوله** ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ١١١ - ١١٥].

ومقصودُهُم: أنَّ أتْباعَكَ فقراءُ، آمَنوا بِكَ؛ لِينالوا مقصدَهُمْ مِن العَيشِ، لا أنَّ إيمانَهم كان لِدَليلٍ يَقْتَضي صِحَّةَ ما جئتَ بِهِ؛ فَلِهذا رَدَّ عَلَيهم بِما رَدَّ.

التكبر عن نصرة الحق لأن أنصاره ضعفاء

التكبر عن نصرة الحق لأن أنصاره ضعفاء (الثالثة عشرة):

من خصالِ الجاهلِية الإعراضُ عَن الدخولِ في الحَقِّ الَّذي دَخَلَ فِيهِ الضعَفاء؛ تَكَبُّرًا وأنفَةً.

فردَّ الله تعالى عَلَيْهم ذلِكَ **بقولِهِ** : ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾[الأنعام : ٥٢-٥٣]

ومِثلُ ذلكَ **قوله تعالى**: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾﴾ [عبس : ١ - ٢] وغيرِ ذَلِكَ.

وحاصلُ الرَّدِّ: أنَّ مَن آمَنَ مِن هؤلاءِ الضُّعفاءِ، إنَّما كانَ إيمانُه عَن بُرهانٍ، لا كما زعم خصومهم، ولست أنت بمسئول عنهم، ولا هم بمسئولين عن حسابك، فطردُهم عن بابِ الإيمانِ من الظلمِ بِمَكانٍ.

استدلالهم على بطلان الشيء بكونهم أولى به لو كان حقا

استدلالهم على بطلان الشيء بكونهم أولى به لو كان حقا (**الرابعة عشرة**) :

الاسْتِدْلالُ على بُطلانِ الشَّيء بِكَونِهم أوْلى بِهِ لَوْ كانَ حَقًّا.

قَالَ تعالى : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ وَإِذۡ لَمۡ يَهۡتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفۡكٞ قَدِيمٞ ١١﴾ [الأحقاف : ١١] **بعدَ قوله** ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرۡتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠﴾ [الأحقاف : ١٠].

جهلهم بالجامع والفارق

جهلهم بالجامع والفارق (الخامسة عشرة) :

الاسْتِدلالُ بِالقياسِ الفاسِدِ، وإنكارُ القِياسِ الصَّحيحِ، وجَهْلهمْ بِالجامعِ والفارِقِ.

قال تعالى : ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾﴾ [المُؤْمِنُون : ٢٤ - ٢٥]، وقبل الآية: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [المُؤْمِنُون : ٢٣].

شُروعٌ في بيانِ إهمالِ النَّاسِ، وتركِهِم النَّظَرَ والاعتبارَ فيما عَدَّدَ سُبحانَه مِن النِّعَمِ قَبْلَ هذهِ الآية، ومن خلفهم مِن زَوالِها، وفي ذلِكَ تخويفٌ لِقريشٍ، وتقديمُ قصَّة نوحٍ عليه السلام على سائرِ القَصصِ مِمَّا لا يَخفى وجهُهُ، فَقال مُتَعَطِّفا عليهم، ومُسْتَميلا لهُمْ إلى الحَقِّ ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الأَعْرَاف : ٦٥] أي: اعْبُدوهُ وحدَه.

﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأَعْرَاف : ٦٥]، استئنافٌ مَسوق لِتعليلِ العبادةِ المأمورِ بها.

﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأَعْرَاف : ٦٥]، الهَمْزَةُ لإنكارِ الواقعِ واستقباحِهِ، والفاءُ للعطفِ على مقدَّر يَقْتَضيهِ المَقامُ، أيْ: أتَعْرِفونَ ذلكَ، أي مَضْمونَ قولِهِ تَعالى: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأَعْرَاف : ٦٥] عَذابَهُ تَعالى الَّذي يَسْتَوجِبُهُ ما أنْتُمْ عَلَيْهِ مِن تَرْكِ عَبادتِهِ سبحانَه وحْدَه، وإشراككم بِهِ عز وجل في العبادةِ ما لا يَسْتَحِقُّ الوجودَ ـ لَولا إيجادُ الله إياه ـ فَضْلا عن اسْتِحقاقِ العبادةِ، فالمُنْكَرُ عدمُ الاتِّقاءِ، مَعَ تَحقُّقِ ما يوجبُه.

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟﴾ [المُؤْمِنُون : ٢٤]، أي الأشرافُ. ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ [المُؤْمِنُون :

٢٤]، وصِفَ الملأ بالكُفْرِ مَعَ إشْراكِ الكُلِّ فيه لِلإيْذانِ بكمال عَراقَتِهِم وشِدَّةِ شَكيمَتِهِم فيهِ، وليسَ المُرادُ مِن ذلكَ إلاَ ذَمَّهُم، دُونَ التَّمَيُّزِ عن أَشْرافٍ آخَرينَ آمَنوا به عليه السلام أو لم يُؤمِنْ بِهِ أحَدٌ مِن أشرافِهِم، كما يُفصِح عنه قولُه: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ [هُود : ٢٧] وهذا القولُ صَدَرَ مِنْهُم لِعَوامِّهِم.

﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [المُؤمِنُون : ٢٤] أي: في الجِنسِ والوصفِ، من غيرِ فرقٍ بَينكم وبَينَه، وَصَفوهُ عليه السلام بذلِكَ مُبالَغةً في وضْعِ رتْبَتِهِ العاليةِ، وحَطِّها عن مخصِبِ النُّبوَّةِ، وَوَصَفوه بقوله سبحانه وتعالى: ﴿يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ [المُؤمِنُون : ٢٤]، إغْضابا للمخاطبين عَلَيه عليه السلام وإغراء لهم على معاداتِه، والتَّفَضلُ: طَلَبُ الفَضلِ، وهو كِنايَةٌ عنِ السِّيادَةِ، كأنَّه قِيلَ يُريدُ أنْ يَسودَكمْ ويتقَدَّمَكُمْ بادِّعاءَ الرِّسالة، معَ كَوْنِهِ مِثْلَكمْ.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ [المُؤمِنُون : ٢٤] بيانٌ لِعَدَمِ رِسالةِ البَشَرِ عَلى الإطلاقِ على زَعْمِهم الفاسدِ، بَعْدَ تَحْقيقِ بَشَرِيَّتِهِ عليه السلام . أي وَلَو شَاءَ الله تعَالى إرسالَ الرُّسلِ، لأرْسَلَ رُسُلا مِنَ المَلائكةِ، وإنَّما قيلَ {لأنْزَلَ} لأنَّ إرْسَالَ المَلائِكَةِ لا يكونُ إلا بطريقِ الإنزال.

﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [المُؤمِنُون : ٢٤] هَذَا إشارة إلى الكلامِ المُتَضمِّنِ الأمرَ بعبادةِ الله عز وجل، خاصَّةً والكَلامُ على تقديرِ مُضافٍ أيْ ما سَمعنا بمثل هذا الكلامِ في آبائِنا الماضينَ قَبْلَ بعثتِه عليه السلام.

وقُدِّرَ المضافُ لأنَّ عدمَ السَّماعِ لكلامِ نوحٍ المذكورِ لا يصلُحُ لِلرَّدِّ فإنَّ السَّماعَ بِمِثْلِهِ كان في القَبولِ.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ﴾ [المُؤمِنُون : ٢٥] أيْ ما هو إلاَ رَجُلٌ به جُنُونٌ أو جِنٌّ يخْبُلونَهُ

ولِذلِكَ يَقولُ ما يَقولُ: ﴿فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٖ ٢٥﴾ [المُؤمِنُون: ٢٥]، فاحْتَمِلوهُ واصْبِروا عليه وانْتَظِروا لَعَلَّهُ يَفيقُ مِمَّا هو فِيه مَحْمول على مَرامي أحْوالِهِمْ في المُكابَرَةِ والعِنادِ، وإضرابُهُم عَمَّا وَصَفوه عليه السلام بِهِ مِنَ البَشَرِيَّة، وإرادَةِ التَّفَضُّلِ، إلى وصفِهِ بِما تَرَى.

وهُم يَعْرِفونَ أنَّه عليه السلام أرجَحُ النَّاسِ عَقْلا، وأرْزَنُهُم قَولا، وهو مَحْمولٌ على تَناقُضِ مَقالاتِهِم الفاسِدَةِ، قاتَلَهم الله تَعالى أنَّى يؤفَكونَ والقياسُ الفاسدُ والصَّحيحُ، والجامعُ والفارِقُ، مُفَصَّلا في **"كتبِ الأصول"**[1]

فَبَيْنَ الرُّسلُ عليهم السلام وسائرِ النَّاسِ مُشابَهَة مِن جهةِ البشريَّةِ ولوازِمِها الضروريَّةِ، فيَصِحُّ حينئذٍ قياسُ الرُّسُلِ على غيرِهِم فيها، وعليه **قولُه تَعالى**: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثْلُكُمْ﴾ [فُصِّلَت: ٦] وبَيْنَ الرُّسُلِ والأنبياءِ عليهم السلام وغيرِهِم مِن البَشَرِ فُروق كثيرة:

ـ منها أنَّ الله تعالى اصْطفاهم على النَّاسِ برسالاتِه وبكلامِهِ ووحْيِهِ وخصهم بذلك، فَلا يُقاسُ أحَدٌ مِن النَّاسِ بِهِم حينئذٍ مِن هذِهِ الجِهَةِ، كَما لاَ يَصِحُّ قياسُ غيرِهِم بِهِم في سائرِ خَصائِصِهِم التي فُصِّلَتْ في غيرِ هذَا المَوضعِ.

فالجاهِلِيَّةُ لم يُمَيِّزوا بَين القِياس الصحيح والفاسِدِ، ولا عرفوا الجامع ولا الفارِق، كما سَمِعتَ مِن قِياسِهِم الرّسُل على غَيرِهِم، وهَكَذا أتْباعُهُمُ اليومَ ومَن هو على شاكِلَتِهِمْ.

---

(١) وأجود ما كتب في الاستدلال بالقياس، وتمييز صحيحه من سقيمه، كتاب **"القياس في الشرع الإسلامي"** لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ وتلميذه الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد طبعته المطبعة السلفية مرتين.

الغلو في الصالحين

الغلو في الصالحين (السادسة عشرة) :

الغُلوُّ في الصَّالِحينَ مِن العُلَماءِ والأولِياء، **كقوله تعالى**: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [التَّوْبَة : ٣٠ - ٣٢].

فاتِّخاذُ أحبارِ النَّاسِ أرْبابا يُحَلِّلونَ وَيُحَرِّمونَ، وَيَتَصَرَّفونَ فِي الكَونِ ويُنادَونَ في دَفعِ ضُرٍّ أو جَلْبِ نَفْعٍ مِن جاهِلِيةِ أهل الكِتابِيِّينَ.

ثُمَّ سَرى إلى غيرِهِم من جاهِلِيَّةِ العَرَبِ، ولهمُ اليومَ بقايا في مَشارِقِ الأرضِ ومَغارِبِها، تصديقًا لِقولِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «لَتَتَّبِعُنَّ سَنن مَنْ كانَ قَبْلَكُم» الحديث.

حَتّىَ نَرى غالبَ النَّاسِ اليومَ مُعْرِضينَ عن الله، وعن دينه الَّذِي ارْتَضاه، مَتَوَغِّلينَ في البِدَعِ، تائِهينَ في أودِيَةِ الضَّلالِ، مُعادينَ لِلْكِتابِ والسُّنَّةِ ومَن قامَ بِهما، فأصْبَحَ الدينُ مِنهم في أنينٍ، والإسلامُ في بَلاءٍ مبينٍ.

وحسبُنا الله، ونعْمَ الوَكيلُ.

الاعتذار بعدم الفهم

الاعتذار بعدم الفهم (السابعة عشرة) :

اعْتِذارهم عَنِ اتِّباعِ الوَحْيِ بِعَدَمِ الفَهْمِ.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [البَقَرَة: ٨٧ - ٨٨].

وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾﴾ [النِّسَاء: ١٥٥].

(**الغُلْفُ**): جمعُ أغْلَفَ، كَأحْمَرَ وحُمْرٍ، وهو الذي لا يفقهُ.

وأصلُه (**ذو القَلَفَةِ**): الذي لم يُخْتَنْ، أو جَمْعُ غِلافٍ، ويُجمعُ على غُلُفٍ بِضمَّتَيْنِ أيْضًا.

وأرادوا على الأوَّل: قُلوبُنا مُغَشَّاةٌ بأغشيةٍ خَلْقِيَّةٍ مانِعَةٍ عن نُفوذِ ما جئتَ بِهِ فيها. وهَذَا كقولِهِم: ﴿قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ [فُصِّلَت: ٥]، قَصدوا به إقناطَ النَّبِي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الإجابة، وقَطْعَ طَمَعِهِ عنهم بالكُلِّية.

ومِنهم مَن قالَ معنى (غُلْف): مُغَشَّاةٌ مِعْلوم مِنَ التَّوراةِ تحفظُها أنْ يَصلَ إليها ما تأتي به، أو بِسلامةٍ مِنَ الفِطْرَةِ كذلِكَ.

وعلى الثاني أنَّها أوعِيَةُ العِلْمِ، فَلَو كانَ ما تقولُهُ حَالا وصِدقًا لَوَعَته.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ وقتادةُ والسُّدي: أو مملوءَةٌ عِلْمًا، فَلا تَسَعُ بعدُ شيئًا، فَنحنُ مُسْتَغْنونَ بِما عندَنا عَن غيرِه.

ومنهم مَن قالَ: أرادوا أنَّها أوعِيَةُ العِلْمِ؛ فَكَيْفَ يَحِلُّ لنا اتباعُ الأمِّيِّ، ولا يخفى بُعْدُهُ.

وَقَالَ تعالى : ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ٨٩ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ٩٠ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ٩١﴾ [هُود : ٨٩ - ٩١] وهذه الآية بمعنى الآية الأولى.

وقد كَذَّبَهُمُ الله تعالى في دَعواهم هذهِ في الناس كثيرةٍ، وذَكَرَ أنَّ السَّبَبَ في عَدَمِ الفَهْمِ إنَّما هو الطَّبْعُ على القُلوبِ بكُفْرِهِم،

لا القُصورُ في البيانِ والتَّفهيمِ.

وما أحسنَ قولَ القائل[1]:

والنَّجْمُ تَسْتَصْغِرُ الأبصارُ صورتَه ❁❁❁ والذَّنْبُ للطَّرْفِ لا لِلنَّجْمِ في الصِّغَرِ

---

(١) هو أبو العلاء المعري.

إنكارهم الحق الذي لا تقول به طائفتهم

إنكارهم الحق الذي لا تقول به طائفتهم (الثامنة عشرة) :

من خصال الجاهِلية: أنَّهم لا يَقْبَلونَ مِنَ الحَقِّ إلا ما تَقولُ بِهِ طائِفَتهمْ.

قَالَ تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾ [البَقَرَة : ٩١].

وَمَعْنى : ﴿نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ [البَقَرَة : ٩١] أيْ: نَسْتَمرُّ عَلى الإيمانِ بالتَّوراةِ ومما في حُكْمها.

ومرادهم مما أُنزِلَ في تقريرِ حُكْمِها.

ومرادُهم بضميرِ المُتكَلِّمِ إمَّا أنبياءُ بَني إسرائيلَ ـ وهو الظَّاهرُ، وفيه إيماء إلى أنَّ عدمَ إيمانِهم بالقرآنِ كانَ بغيًا وحَسَدًا على نُزولِهِ على مَن لَيْسَ مِنهم ـ وإمَّا أنفُسُهُم.

ومعنى الإنزالِ عليهم: تكليفُهُم بِما في المُنَزَّلِ مِن الأحكامِ.

وَذُمُّوا على هذِهِ المقالةِ لِما فيها مِن التَعريضِ بشأنِ القرآنِ، ودَسائسُ اليهود مشهورة، أو لأنهم تَأوَّلوا الأمرَ المُطْلَقَ العامَّ، ونزلوه على خاصٍّ هو الإيمانُ بِما أُنْزِل عَليهم، كَما هو دَيْدَنُهُم في تأويلِ الكِتابِ بغيرِ المرادِ مِنهُ.

﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ [البَقَرَة : ٩١] أيْ: هُمْ مقارنونَ لِحَقِيقتِهِ، أيْ: عالِمونَ بها

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البَقَرَة : ٩١] لأنَّ كُتُبَ الله يُصدِّقُ بعضُها بَعضًا، فالتَّصديقُ لازِم لا

يَنْتَقِلُ، وقد قَرَّرَتْ مَضمونَ الخَبَرِ، لأنَّها كالاسْتدلالِ عليه، ولِهذا تَضَمَّنت رَدَّ قولِهم: ﴿نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ [البَقَرَة : ٩١] حَيثُ أنَّ مَن لمْ يُصَدِّقْ بها بِما وافَقَ التّوَراةَ، لم يصَدقْ بِها.

﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾ [البَقَرَة : ٩١] أمْرٌ للنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنْ يقولَ ذلكَ تَبْكيتًا لهم، حيث قَتَلوا الأنبياءَ مَعَ ادِّعاءِ الإيمانِ بالتَّوراةِ، وهِي لا تُسَوّغُه.

التمسك بخرافات السحر

التمسك بخرافات السحر (التاسعة عشرة):

من خِصالهم: الاعتياض عن كِتابِ اللهِ تَعالى بكتُبِ السِّحرِ، **كما قال تعالى** : ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٠١ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ١٠٢ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَمَثُوبَةٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ خَيۡرٞۚ لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ١٠٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٠٤﴾ [البقرة: ١٠١-١٠٢]

والكلامُ على هذهِ الآية في التفاسيرِ مشهور.

وهذه الخَصلةُ الجاهِلِيّةُ مَوجودة اليومَ في كَثيرٍ من النَّاسِ، لا سِيَّما مَن انتسبَ إلى الصَّالِحينَ وهو عنهم بِمراحِلَ، فَيَتَعاطَى الأعمالَ السِّحريَّةَ مِن إمساكِ الحَيَّاتِ، وضرْبِ السِّلاحِ، والدُّخولِ في النِّيرانِ، وغيرِ ذلك مِمَّا وَرَدَتِ الشَّريعةُ بإبطالِهِ.

فَأعْرَضوا، ونبذوا كتابَ الله وَراءَ ظُهورِهِم، واتَّبَعوا ما ألْقاهُ إليهِم شَياطينُهُم، وادَّعَوا أنَّ ذلِكَ مِنَ الكَراماتِ، مَعَ أنَّ الكَرامةَ لا تصدرُ عن فاسِقٍ، ومَن يَتَعاطى تلكَ الأعمال

فِسْقُهُم ظاهِرٌ لِلْعَيانِ.

ولِذا اتَّخَذوا دِيْنَهم لَعِبًا ولَهْوًا، وفي مِثلهم.

قالَ تَعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكَهْف : ١٠٤] .

التناقض في الانتساب

التناقض في الانتساب (العشرون) :

تَناقضهُم في الانْتِسابِ. فَيَنْتَسِبونَ إلى إبراهيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإلى الإسلامِ، مَعَ إظْهارِهِمْ تَرْكَ ذلكَ، والانتسابَ إلى غيرِه.

صرف النصوص عن مدلولاتها

صرف النصوص عن مدلولاتها (الحادية والعشرون) :

تَحْرِيفُ كلامِ اللهِ مِن بعدِ ما عَقَلوهُ وهُمْ يَعْلَمونَ. ولَكَمْ في هذا العَصْرِ مَنْ هو على شاكِلَتِهِمْ، تَراه يَصْرِفُ النُّصوصَ، وَيُؤوِّلُها إلى ما يَشْتَهيهِ مِن الأهْواءِ.

تحريف كتب الدين

تحريف كتب الدين (الثانية والعشرون) :

تَحْريفُ العلماءِ لكتُبِ الدِّين.

قال الله تعالى : ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البَقَرَة : ٧٨ - ٧٩].

وَمَن نَظَرَ إلى قُضاةِ هذا الزَّمانِ،(١) وما تَلاعَبوا بِهِ مِن الأحكامِ، وصَرْفِ التصرف إلى ما تَهْواهُ أنْفُسُهم، وتبديلِ الحَقِّ وإبطالِهِ، بِما يَنالونَه من الرشى وغيرِ ذلكَ مِمَّا هُمْ عَلَيْهِ اليومَ، تبيَّنَ لَه من ذلك بحرٌ لا ساحلَ لَهُ وَهكَذا بعضُ المُبتَدِعَةِ وغلاةُ القُبورِ، وقد بُيِّنَ حالُهُم في غيرِ هذا الموضعِ.

(١) المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ عاصر الدولة العثمانية؛ ويذكر المشاهد في زمنه.

الانصراف عن هداية الدين إلى ما يخالفها

الانصراف عن هداية الدين إلى ما يخالفها (**الثالثة والعشرون**) :

وهي من أعجَبِ المسائلِ والخصالِ مُعاداةُ الدِّين الذي انْتَسَبوا إليهِ أَشَدَّ العداوةِ، ومُوالاتهم لِمَذْهَبِ الكُفَّارِ الذينَ فارَقوهم أَكْمَلَ الموالاة، كما فَعَلوا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمَّا أتاهُمْ بِدينِ موسى، واتَّبَعوا كُتُبَ السِّحْرِ، وَهو مِن دِينِ آلِ فرعونَ.

ومثل هؤلاء في الأمة الإسلامية كثير، هجروا السنة، وعادوها، ونصروا أقوال الفَلاسِفَةِ وأحْكامَهُمْ.

كفرهم بما مع غيرهم من الحق

كفرهم بما مع غيرهم من الحق (الرابعة والعشرون) :

أنَّهُم لَمَّا افْتَرقوا، وَكلّ طائِفَةٍ لا تَقْبَلُ مِنَ الحَقِّ إلاَ ما قالَتْهُ طائفتهُم، وكَفَروا بِما مَعَ غَيرِهِم مِنَ الحَقِّ.

قالَ تَعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [البَقَرَة : ١١٣]

ولا شَكَّ أنَّ هذِهِ مِنَ خِصالِ الجاهِلِيَّةِ، وَعِلْيَةِ القوم وكَثير مِنَ النَّاسِ، لا يَعْتَقِدُ الحَقَّ إلاَ مَعَهُ، لا سِيَّما أرباب المذاهِبِ، يَرى كلُّ أهلِ مَذْهَبٍ أنَّ الدِّينَ مَعَه لا يَعْدوهُ إلى غيرِه، وكل حزب بما لديهم فرحون.

وكـــل يَدَّعي وَصْلا بِـــلَيْلى ❁❁❁ وَلَيْـــلى لا تُقِرُّ لَهُمْ بِـــذاكا

والحَزْمُ أنْ يَنْظُرَ إلى الدَّليلِ، فما قام عليه الدَّليلُ، فهو الحَقُّ الحَريُّ أن يُتَلقَّى بالقَبولِ، وما لَيْسَ عَلَيْهِ بُرْهان ولا حُجَّةٌ يُنْبَذُ وَراءَ الظهورِ، وكلُّ أحَدٍ يُؤخذ من قَولهِ ويُرَدُّ إلا مَنِ اصْطفاه الله لِرِسالَتِهِ.

ادعاء كل طائفة حصر الحق فيها

ادعاء كل طائفة حصر الحق فيها (الخامسة والعشرون) :

أنهم لَمَّا سَمِعوا قولَه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حَديثِ الافْتِراقِ: «وَسَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي إلى ثَلاثٍ وَسَبْعينَ فِرْقَةً، كُلُّها في النَّارِ إلاَّ واحِدَة» ادَّعى كُلُّ فِرْقَةٍ أنَّها هِيَ النَّاجِيَةُ كما حَكى الله عَن اليهودِ والنَّصارى في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [البَقَرَة : ١١٣].

مَعَ أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيَّنَ في آخِرِ الحَديثِ المُرادَ مِنَ الفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ، فقالَ: «وَهُمْ ما كُنت أنا عَلَيه وَأَصْحابِي» أو كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَرَدَّ الله تَعالى عليهم بقولِهِ: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١١١ بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١١٢﴾ [البَقَرَة : ١١١ - ١١٢].

والمقصود: أنَّهم لَيْسَ لَهم بُرهانٌ على هذهِ الدَّعْوى، بَلِ الدَّليلُ على خِلافِ ذلِكَ.

وَأبو العَبَّاس تَقيُّ الدِّينِ تكَلَّمَ على حَديثِ الفِرَقِ في كِتابِهِ "**مِنهاجِ السُّنَّةِ**" بِما لا مَزيدَ عَلَيه، حَيثُ اسْتَدَلَّ بِهِ الرَّافِضيُّ على حقية مَذهبِهِ وبُطلانِ مَذهب أهل السُّنَّةِ، فراجِعْهُ إنْ أرَدْتَه [1].

---

(١) وقد ازدان "**منهاج السنة**" بالتعليقات النفيسة على مختصره للحافظ الذهبي الذي سماه "**المنتقى من منهاج الاعتدال**" . نشرته المطبعة السلفية سنة ١٣٧٤ وأعيد طبعه منقحًا سنة ١٣٩٤ .

إنكار ما أقروا أنه من دينهم

إنكار ما أقروا أنه من دينهم (السادسة والعشرون) :

أنَّهم أنْكَروا ما أقَرُّوا أنَّه مِن دِينِهم، كَما فَعَلوا في حَجِّ البَيتِ، فَتَعَبَّدوا بِإنكارِهِ والبراءَةِ مِنه مَعَ ذلكَ الإقرار كَما **قالَ تَعالى** : ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البَقَرَة : ١٢٥] **إلى أنْ قالَ**: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البَقَرَة : ١٣٠ - ١٣٢].

يُقالُ: إنَّ سَبَبَ نُزولِ قوله: ﴿وَمَن يَرْغَبُ﴾ [البَقَرَة : ١٣٠] إلخ ما رُوِيَ أنَّ عبدَ اللهِ بنَ سَلامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَعا ابْنَي أخيهِ: سَلَمَةَ ومهاجِرًا إلى الإسلام، فقال: قَد عَلِمْتُما أنَّ الله تَعالى قالَ في التَّوراةِ: إنِّي باعِثٌ مِن ولدِ إسماعيلَ نَبيًّا اسْمُهُ أحمدُ، فَمَنْ آمَنَ بِهِ، فَقَد اهْتَدى وَرَشَدَ، وَمَنْ لَم يؤمِنْ بِهِ، فهو مَلْعون. فأسْلَمَ سلَمَةُ، وأبى مُهاجِرٌ، فَنَزَلَتْ. اهـ

المجاهرة بكشف العورات

المجاهرة بكشف العورات (السابعة والعشرون) :

المجاهرة بِكَشْفِ العَوْراتِ.

قال تعالى : ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأَعْرَاف : ٢٨ - ٢٩].

قال بعض المفسرين: الفاحشة هنا: الفعلة القبيحة المتناهية في القبح، والتاء إما لأنها مجراة على الموصوف المؤنث، أي: فعلة فاحشة.

وإما للنقل من الوصفية إلى الاسمية، والمراد بها هنا: عبادة الأصنام وكشف العورة في الطواف، ونحو ذلك.

وعَنِ الفَرَّاءِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : تَخصِيصُها بِكشفِ العَورةِ.

وفي الآية حَذْفٌ، أيْ: وَإِذَا فَعَلوُا فاحِشَة فنهوا عنها قَالوُا: وَجَدنَا عليها آباءنا وَاللهُ أمرنَا بِهَا، مُحْتَجِّينَ بِأمْرَيْنِ: بِتَقْلِيدِ الآباءِ، والافتراءِ على الله.

وكان مِن سُنَّةِ الحُمْسِ أنَّهم لا يَخْرُجونَ أيَّامَ المَوسِم إلى عَرَفاتٍ، إنَّما يَقِفونَ بِالمُزْدَلِفَةِ، وكانوا لا يَسلأون، وَلا يَأقطونَ، ولا يَرْتَبطونَ عَنْزًا ولا بَقَرَةً، ولا يَغْزُلونَ صوفًا ولا وَبَرًا، ولا يَدْخُلونَ بَيْتًا مِنَ الشَّعْرِ والمَدرِ، وإنَّما يَكْتنُّونَ بالقبابِ الحُمْرِ في الأشْهُرِ الحُرُمِ.

ثُمَّ فَرَضوا على العَرَبِ قاطِبةً أنْ يَطَّرِحوا أزْوادَ الحِلِّ إذا دَخَلوا الحَرَمَ، وأنْ يَتركوا ثِيابَ الحِلِّ، ويَسْتبدِلوها بثيابِ الحَرَم، إمَّا شراء وإمَّا عارِيّة وإمَّا هِبَة، فإنْ وَجَدوا ذلك فيها، وإلا طافوا بالبيتِ عَرايا.

وَفَرَضوا على نِساءِ العربِ مثلَ ذلكَ. غيرَ أنَّ المرأةَ كانت تَطوفُ في درج مُفَرَّجِ القَوادمِ والمَآخيرِ.

قالتِ امرأةٌ[1] وهي تطوفُ بالبيتِ:

اليَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أوْ كُـــلُّهُ ❁❁❁ ومَـــــــا بَدَا مِنْهُ فَلاَ أُحِلُّهُ

أخْتَمَ مِثْلَ القِعْبِ بَادٍ ظِـــلُّهُ ❁❁❁ كـــــــأنَّ حُمَّى خَيْبَرٍ تَمُلُّهُ

وكَلَّفوا العربَ أن يُفيضوا مِن مُزْدَلِفَةَ، وقد كانوا يُفيضون مِن عَرَفَةَ، إلى غيرِ ذلكَ مِنَ الأمورِ الَّتي ابْتَدَعوها وتَشَرَّعوها، مِمَّا لم يأذنْ بِهِ الله.

ومَعَ ذلِكَ كانوا يَدَّعونَ أنَّهم على شَريعةِ أبيهم إبراهيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما ذلكَ إلا لِجاهِليتهم.

وغالبُ مَن يَنْتَمي إلى الإسلامِ اليومَ ابْتَدَعوا في الدِّينِ ما لم يأذَنْ بِهِ الله:

- فَمنهم من اتخذ ضرب المعازف وآلات اللهو عبادة يتعبدون بها في بيوت الله ومساجده.

- ومِنهم مَن اتَّخَذَ الطَّوافَ على القُبورِ والقصد إليها والنُّذورَ أخْلَصَ عِبادَتِهِ وَأَفْضَلَ

---

(١) هي ضباعة بنت عامر بن صعصعة.

قُرُباتِهِ.

- ومِنهم مَنِ ابْتَدَعَ الرَّهْبانِيّةَ والحِيَلَ الشَّيْطانِيّةَ، وَزَعَمَ أَنَّهُ سَلَكَ سبيلَ الزُّهَّادِ وطريقَ العُبَّادِ، ومَقْصِدُه الأعلى شَهَواتِهِ الحَيْوانِيَّةِ، والفَوزُ بهذِهِ الدُّنيا الدَّنِية، إِلَى غيرِ ذلك مِمَّا يَطولُ، ولا يعلمُ ماذا يقولُ:

إلى دَيَّانِ يَوْمِ الدِّينِ نَمْضـــي ❁❁❁ وَعِنْدَ اللهِ تَجْتَمعُ الخُصُـــوْمُ.

التعبد بتحريم الحلال

التعبد بتحريم الحلال (الثامنة والعشرون) :

التَّعَبُّدُ بِتَحْرِيمِ الحَلالِ، فَرَدَّ الله تعالى ذلِكَ عَليهم بِقولِهِ : ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣٢ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣﴾ [الأعراف : ٣١ - ٣٣]

ومعنى الآيات : ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف : ٣١] أي: ثِيابَكُم لِمواراةِ عَوْراتِكُم عِندَ طوافٍ أوْ صَلاةٍ.

وسَبَبُ النُّزول: أنَّه كانَ أُناس مِن الأعرابِ يَطوفونَ بِالبيتِ عُراةً، حَتّىَ أنْ كانتِ المَرْأةُ لَتَطوفُ بِالبيتِ وهِيَ عُريانة، فَتُعَلِّق على سُفْلِها سُيورًا مِثلَ هذهِ السُّيورِ التي تكونُ على وجْهِ الحُمْرِ من الذُّبابِ، **وهي تَقولُ**:

اليَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أوْ كُـــلُّهُ ❁❁ ومَـــــــا بَدَا مِنْهُ فَلاَ أُحِلُّهُ

فَأنْزَلَ الله تَعالى هذهِ الآية: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ﴾.

قال الكَلْبِيُّ: كان أهلُ الجاهِلِيَّة لا يَأكُلونَ مِنَ الطَّعامِ إلا قُوتًا، ولا يأكلونَ دَسمًا في أيَّام حَجِّهم، يُعَظِّمونَ بذلِكَ حَجَّهم، فقالَ المُسلِمونَ: يَا رَسُولَ الله، نَحْن أحَقُّ بِذلِكَ، فَأنْزَلَ الله تَعالىَ الآية.

وَفِيْهِ يَظْهَرُ وجهُ ذِكْرِ الأكْلِ والشُّرْبِ هُنا.

﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ﴾ بِتَحْرِيمِ الحلالِ، كما هو المُناسِبُ لِسَبَبِ النُّزولِ.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾ بَلْ يُبْغِضُهُمْ، وَلاَ يَرْضى أفْعالَهُمْ.

﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ مِنَ الثِّيابِ وكل ما يتجمل به وخلقه لنفعهم من الثياب كالقُطْنِ والكِتَّانِ والحَيوانِ كالحَريرِ والصُّوفِ.

﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ﴾ أيْ: المُسْتَلَذَّاتِ ـ وقيلَ المُحَلَّلات ـ ومِنَ المَآكِلِ والمَشارِبِ كَلَحْمِ الشَّاةِ وَشَحْمِهَا وَلبَنِها.

﴿قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ أيْ: هي لَهُم بالأصالَة لِمَزيدِ كَرَامَتِهِمْ على الله تعالى والكَفَرَةُ وإنْ شارَكوهُم فيها فبِالتبعِ، فَلاَ إشْكالَ في الاخْتِصاصِ.

﴿خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ أيْ: لا يُشارِكُهم فيها غَيْرُهُم.

﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣٢﴾ أي: مِثْل تَفْصيلِنا هذا الحُكْمَ، نُفَصِّلُ سائِرَ الأحكامِ لِمَنْ يَعْلَمُ ما في تَضامينها مِنَ المَعاني الرَّائِقَةِ.

﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ﴾ أيْ: ما تَزايَدَ قُبْحُهُ مِنَ المَعاصي، ومِنهُ ما يَتَعَلَّقُ بِالفُروجِ.

﴿مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ﴾ بَدَل مِنَ الفَواحِشِ، أيْ جَهْرَها وَسرَّها.

وعَنِ البَعْضِ: {مَا ظَهَرَ} الزِّنا عَلانِيةً، {وَمَا بَطَنَ} الزِّنا سِرًّا وَكانوا يَكْرَهونَ الأوَّلَ، ويَفْعَلونَ الثَّانيَ، فنهوا عَن ذلِكَ مُطْلَقًا.

وعن مُجاهِدٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : {مَا ظَهَرَ}التَّعَرِّي في الطَّوافِ، {وَمَا بَطَنَ} الزِّنا.

والبَعْضُ يَقولُ: الأوَّلُ طَوافُ الرِّجالِ بالنَّهارِ، والثَّاني طوافُ النِّساءِ بالليلِ عارِياتٍ.

﴿وَٱلْإِثْمَ﴾ أي: ما يُوجِب الإثمَ، وأصله الذَّمّ، ثُمَّ أُطْلِق على ما يوجِبَه مِن مطلَقِ الذَّنْبِ، وَذُكِرَ لِلتَعميمِ بَعْدَ التَّخْصيصِ بِناءً على ما تَقَدَّم مِن معْنى الفَواحِشِ.

ومِنهم مَن قالَ: إنَّ الإثمَ هو الخَمْرُ، وَعَلَيْهِ أهلُ اللغَة، وَأنْشَدوا لَه قَولَ الشَّاعِرِ:

نَهانا رَسول الله أنْ نَقْرَبَ الزِّنى ❁❁❁ وَأَنْ نَشْرَبَ الإثْمَ الذي يوجِبُ الوِزْرا

وَقَولَ الآخَرِ:

شَرِبتُ الإثْمَ حَتى ضـلَّ عَقْلِي ❁❁❁ كـــــــذلكَ الإثمُ يَذْهَبُ بِالعُقولِ

﴿وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ وهو الظلم والاستطالة على الناس، وأفرد بالذكر بناء على التعميم فيما قبله، أو دخوله في الفواحش للمبالغة في الزجر عنه.

﴿وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأَعْرَاف : ٣٣] بالإلحاد في صفاته والافتراء عليه كقولهم : ﴿وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [الأَعْرَاف : ٢٨].

ولا يخفى أن متصوفة زماننا على هذه الخصلة الجاهلية: فقد حرموا على أنفسهم زينة الله والطيبات من الرزق ليعتقد الناس صلاحهم، وابتدعوا الخلوات والرياضات وغير ذلك من شعائرهم في المأكل والملبس وسائر شئونهم، وما دروا أنهم بذلك من القوم الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا.

الإلحاد في أسماء الله سبحانه وصفاته

الإلحاد في أسماء الله سبحانه وصفاته (التاسعة والعشرون) :

الإِلْحادُ في أسْمائِهِ وصِفاتِهِ.

قالَ سُبحانَه في سورة: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف : ١٨٠].

تَفسيرُ هذِهِ الآية: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ تنبيه للمُؤمِنينَ على كَيْفِيَّةِ ذِكْرِهِ تَعَالى، وَكَيْفِيّة المُعامَلَةِ مَعَ المُخِلِّينَ بذلِكَ الغافِلينَ عَنه سُبحانَه، وَعَمَّا يَليقُ بِشأنِه، إثْرَ بَيانِ غَفْلَتِهِمُ التَّامَّة، وَضَلالَتِهِمُ الطَّامَّة.

﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ إمَّا مِنَ الدَّعْوَةِ بِمعْنى التّسمِيَةِ، كَقَولِهِم: دَعَوْتُهُ زَيدًا، أوْ يزيد أيْ: سَمَّيْتُهُ، أو الدُّعاءِ بِمعْنى النِّداءِ، كَقَولِهِم: دَعْوتُ زيدًا، أيْ: نادَيْتُهُ.

﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾ أيْ: يَميلونَ وَيَنْحَرِفون فيها عَنِ الحَقِّ إلى الباطِلِ، يُقال: ألْحَدَ، إذا مال عَنِ القَصْدِ والاستِقامَةِ، ومِنه لَحْدُ القَبْرِ لِكَونِهِ في جانِبِهِ بِخلافِ الضَّريحِ، فإنَّهُ في وَسَطِهِ.

والإلحادُ في أسمائِهِ سبحانَه : أنْ يُسَمَّى بِلا تَوْقيفٍ فيه، أوْ بِما يُوهِمُ مَعنًى فاسِدًا، كما في قولِ أهلِ البَدْوِ: يا أبا المَكارِمِ، يا أبيضَ الوجْهِ، يا سَخِيُّ، ونحو ذلك.

فالمُرادُ بِتَرْكِ المأمورِ بِهِ : الاجتنابُ عن ذلك، وأسمائِهِ ما أطْلَقوهُ عَلَيه تَعالى وَسَمَّوهُ به على زَعَمِهِم، لا أسماؤه تعالى حَقيقَةً، وعلى ذلك يحْمَل تَرْكُ الإضمارِ، بأنْ يُقالَ: يُلحِدون بِها.

وَقَالَ تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ٣٠﴾ [الرَّعْد : ٣٠].

عن قَتادَةَ وابنِ جُرَيْجٍ ومُقاتِلٍ : أنَّ الآية نَزَلَتْ في مُشْرِكي مَكَّةَ لَمَّا رَأوا كِتابَ الصُّلْحِ يومَ الحُدَيْبِيَةِ وقد كَتَبَ فيه عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ. فَقالَ سُهيلُ بنُ عَمْرٍو: ما نَعْرِفُ الرَّحْمنَ إلا مُسَيْلِمَةَ.

ومِنهم مَن قال: سَمِعَ أبو جَهْلٍ قَولَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «يَا الله يا رحمن» فقال: إنَّ محمَّدًا يَنهانا عَن عبادةِ الآلهةِ وهو يَدعو إلهينِ، فَنَزَلَتْ.

وَعَن بعضِهِم : أنَّه لَمَّا قِيلَ لِكُفَّارِ قُرَيشٍ: اسجدوا للرحمن قالوا: وَمَا الرَّحمَنُ، فَنَزَلَتْ، وقيلَ غَيْرُ ذلِكَ مِمَّا يَطولُ.

وَقَالَ تعالى: ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖۚ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢١ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ٢٢ وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾ [فُصِّلَت : ٢١ - ٢٣].

وفي هذِهِ الآية إخبارٌ أنَّ أهلَ الجاهِلِيَّةِ كانوا يُلْحِدونَ في صِفاتِهِ، كما كانوا يُلحِدونَ في أسمائِهِ تَعالى.

أخرَجَ أحمدُ والبُخاريُّ ومُسلِم والترمِذيُّ والنَّسائِيُّ وجَماعةٌ عن ابنِ مسعودٍ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالَ: كُنتُ مُسْتَنِدًا بأستارِ الكعبةِ، فجاءَ ثلاثةُ نَفَرٍ قُرَشيٌّ وثَقَفيَّانِ ـ أو ثَقَفِي وقُرَشيانِ ـ كثيرٌ لحمُ بُطونهم؛ قَليلٌ عفة قُلوبهم، فَتكَلَّموا بكلامٍ لمْ أسْمَعْهُ، فقال أحَدُهُم: أتَرونَ الله يَسمعُ كلامَنا هذا؟ فَقَال الآخَرُ: إذا رَفَعْنا أصْواتَنا يَسْمَعُهُ، وإذا لم نَرْفعْ لم يَسْمَعْ، فقال الآخَرُ: إنْ سَمِعَ منه شَيئًا سَمِعَهُ كُلَّهُ. قال: فَذَكَرْتُ ذلِكَ للنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فَأنْزَلَ الله تعالى**: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [فُصِّلَت : ٢٢ - ٢٣]. فهذا هو الإلحادُ في الصِّفاتِ.

وأنتَ تَعْلَمُ أنَّ ما عَلَيْهِ أكثرُ المُتكَلِّمينَ المُسلِمينَ مِنَ الإلحادِ في الأسماءِ والصِّفاتِ فَوْقَ ما كانَ عَلَيه أهل الجاهِلِيَّةِ :

ـ فَسَمَّوا الله بأسماءٍ ما أنزلَ الله بها مِن سُلطانٍ. **ومِنهم** مَن قالَ: لَيْسَ لِلَّهِ صفات قامتْ بِهِ. **ومِنهم** مَن قالَ: صِفاتُه لَيستْ عَيْنَ ذاتِهِ ولا غيرَهُ. **ومِنهم** مَن قالَ: إنَّ صفاتِه غيرهُ. **ومِنهم** مَن قال: إنَّ الله لم يَتكَلَّمْ بالكُتُبِ التي أنْزَلَها، وَأثْبَتوا لَه الكَلامَ النَّفسيَّ، وأنَه لم يُكَلِّمْ أحدًا مِن رُسُلِهِ.

إلى غير ذلك من الإلحادِ الذي حَشَوا به كُتبهُمْ ملؤوها مِن الهَذَيانِ، وظَنُّوا أنَّ الآية مُخْتَصَّةٌ بأهلِ الجاهِلِيَّةِ، وَمَا دَرَوا أنَّهُمُ الفَرْدُ الكامِلُ لعُمومِها.

ومَن بَصَّرَه وَنَوَّرَ قَلْبَه، أعْرَضَ عَن أخْذِ عَقائِدِهِ مِن كُتُبِ هؤلاءِ الطوائفِ، وتَلَقَّى مَعْرِفَةَ إلهِهِ مِن كُتُبِ السَّلَفِ المُشْتَمِلَةِ على نُصوصِ الكِتابِ والسُّنَّةِ.

نسبة النقائص إلى الله سبحانه

نسبة النقائص إلى الله سبحانه (الثلاثون) :

نسْبة النَّقائصِ إليه سبحانَه كالولَدِ والحاجَةِ.

- فإنَّ النَّصارى قالوا: المَسِيحُ ابنُ الله.
- وطائفة مِن العَرَب قالوا: الملائكةُ بناتُ الله.
- وقوم مِن الفَلاسِفَةِ قالوا بِتَوليدِ العُقولِ.
- وقوم مِن اليَهودَ قالوا: العُزَيْرُ ابنُ الله. إلى غيرِ ذلِكَ.

وقد نَزهَ الله نَفْسَه عن كُل ذلِكَ ونَفاه عنه **بقوله**: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخْلَاص : ١ - ٤].

وبقوله: ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ۝١٥١ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۝١٥٢﴾ [الصَّافَّات : ١٥١ - ١٥٢].

وقوله : ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٠٠ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝١٠١﴾ [الأَنْعَام : ١٠٠ - ١٠١].

وهذا يَعُمُّ جميعَ الأنواعِ التي تُذْكَرُ في هذا البابِ عن بعضِ الأمَمِ، كما أنَّ ما نفاه من اتِّخاذِ الوَلَدِ يَعُمُّ أيْضًا جميعَ أنواعِ الاتِّخاذاتِ، لا اصطفاؤُه.

كما قال تعالى : ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ

يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ [المَائِدَة : ١٨].

قالَ السُّدِّيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : قالوا: إنَّ الله تَعالى أوْحى إلى إسرائيلَ إنّ وَلَدَكَ بِكْرِي مِن الوَلَدِ فَأُدْخِلُهُمُ النَّارَ، فَيكونونَ فيها أربعينَ يومًا حَتَّى تُطَهِّرَهم وتأكلَ خطاياهم، ثم ينادي منادي: أخْرِجوا كلَّ مَخْتونٍ مِن بني إسرائيل.

وقدْ قال الله تَعالى : ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ﴾ [المُؤْمِنُون : ٩١].

وقال عَزَّوَجَلَّ : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ﴾ [الإِسْرَاء : ١١١].

وقال تَعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ [الفُرْقَان : ١ - ٢].

وقال عَزَّوَجَلَّ ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ * وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأَنبِيَاء : ٢٦ - ٢٩].

وقال سُبحانه وتعالى: ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ﴾ [النَّحل : ٥١ - ٥٢] **إلى قوله** ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا ﴾ [النَّحل : ٥٦] **إلى قوله:** ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ

سُبۡحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [النَّحل : ٥٧].

وقالَ الله تعالى : ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمۡ لَتَقُولُونَ قَوۡلًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا نُفُورٗا ﴿٤١﴾ قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ﴿٤٢﴾﴾ [الإسْرَاء : ٣٩ - ٤٢]

وقال عَزَّوَجَلَّ : ﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمۡ خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثٗا وَهُمۡ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمۡ لَكُمۡ سُلۡطَٰنٞ مُّبِينٞ ﴿١٥٦﴾ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبٗا ۚ وَلَقَدۡ عَلِمَتِ ٱلۡجِنَّةُ إِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾ [الصَّافَّات : ١٤٩ - ١٦٣]،

وقال عَزَّوَجَلَّ : ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُ ۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾ [النَّجم : ١٩ - ٢٣] إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾﴾ [النَّجم : ٢٧].

وقالَ تعالى : ﴿وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًا﴾ [الزُّخرُف : ١٥].

قال بعضُ المفسِّرينَ: {جُزءًا} ، أيْ: نَصيبًا وبعضًا.

وقال بعضُهم: جعلوا لِلَّهِ نصيبًا من الولدِ. وعن قَتادةَ ومقاتل: عدلا.

وكلا القولين صحيح، فإنَّهم يَجْعَلون له وَلَدًا، والولَدُ يُشْبِهُ أباهُ.

ولهذا قال: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾ [الزُّخرُف: ١٧]، وَهُوَ كَظِيمٌ أيْ البَنات، كما قالَ عَزَّوَجَلَّ في الآيَة الأخرى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾ [النَّحل: ٥٨].

فَقَد جَعَلوها لِلرَّحْمنِ مَثَلا، وَجَعَلوا لَهُ مِن عِبادِه جُزْءًا، فَإِنَّ الولدَ جُزء مِنَ الوالِدِ، قالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّما فاطِمَةُ بضعَةٌ مِنّيَ».

وقولُهُ: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأَنْعَام: ١٠٠].

قالَ الكَلْبِيُّ: نَزَلَتْ في الزَّنادِقَة، قالوا: إنَّ الله وإبليسَ شَريكانِ، فاللهُ خالقُ النُّورِ والنَّاسِ والدَّوابِّ والأنعامِ، وإبليسُ خالقُ الظلْمَةِ والسِّباعِ والحَيَّاتِ والعَقارِبِ.

وَأمَّا قولُه: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ [الصَّافَّات: ١٥٨] فَقيلَ: هو قولُهُم: الملائكةُ بناتُ الله، وسمى الملائكة جِنًّا؛ لاختِفائِهم عَن الأبصارِ، وهو قولُ مُجاهِدٍ وقتادة.

وقيل: قالوا لِحَيٍّ مِن الملائكةِ يُقالُ لهم: الجِنُّ، ومنهم إبليسُ: هم بناتُ الله.

وَقَالَ الكَلْبِيُّ: قالوا لَعَنَهمُ الله: بَلْ بُذور يَخْرُجُ مِنها الملائكةُ.

وقولهُ: ﴿وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأَنْعَام: ١٠٠].

قالَ بعضُ المفسِّرينَ: هُم كُفَّارُ العَرَبِ، قالوا: الملائكةُ والأصنامُ بَناتُ الله، واليَهودُ قالوا: عُزير ابنُ الله، والذين كانوا يَقولونَ مِن العَرَبِ: إنَّ الملائكةَ بناتُ الله، وَمَا نُقِلَ

عَنهم مِن أنَّه صاهَرَ الجِنَّ، فوَلَدَتْ له الملائكةَ، فَقَد نَفاه عنه بامْتِناعِ الصَّاحِبَةِ، وبامتناعِ أنْ يكونَ منه جُزْءٌ، فإنَّه صَمَدٌ.

وقولُه: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ [الأنعام : ١٠١] وَهذَا لأنَّ الولادةَ لا تكونُ إلا مِن أصْلَينِ، سَواءٌ في ذلِكَ تولُّدُ الأعيانِ ـ التي تُسَمَّى الجواهِرَ ـ وتولد الأعراض والصِّفاتِ، بَلْ وَلاَ يَكونُ تولُّد الأعْيانِ إلا بانفصال جُزْءٍ مِن الولدِ، فإذا امتنعَ أنْ تكونَ لَه صاحِبةٌ، امْتنعَ أنْ يَكونَ لَه وَلَدٌ، وقد عَلِموا كُلُّهُم أنْ لا صاحِبَةَ له لا مِن الملائكةِ، ولا مِن الجِنِّ، ولا مِنَ الإنْسِ، فلم يَقُلْ أحَدٌ مِنْهُم إنَّ له صاحِبَةً؛ فَلِهذا احْتجَّ بِذلِكَ عَلَيهم.

وما حُكِيَ عَن بعضِ كُفَّارِ العَرَبِ أنَّهُ صاهَرَ الجِنَّ، فهذا فيه نَظَرٌ!.

وذلكَ إنْ كانَ قَدْ قيلَ فهوَ مِمَّا يُعْلَمُ انْتِفاؤهُ مِن وُجوهٍ كَثيرةٍ.

وكذلك ما قالَتْهُ النَّصارى مِن أنَّ المَسيحَ ابنُ الله.

وما قالَه طائفةٌ مِنَ اليهودِ أنَّ العُزَيْرَ ابنُ الله، فإنَّه قد نَفاه سُبحانه بِهذا وَهذا.

وتَمامُ الكَلامِ في هذا المَقامِ في كتابِ **"الجَوابِ الصَّحيحِ لِمَنْ بَدَّل دِيْنَ المَسيح"** و **"تَفْسير سورةِ الإخلاص"** وَغَيرِهما مِن كُتُبِ شيخِ الإسلامِ تقيِّ الدِّينِ قدس الله روحه.

تنزيههم المخلوق عما نسبوه للخالق

تنزيههم المخلوق عما نسبوه للخالق (المسألة الحادية والثلاثون) :

تنْزِيهُ المَخْلوقِ عمَّا نَسَبوه لِلخالِقِ مِثل: تَنزيهِ أحبارِهِم عَنِ الوَلَدِ والزوجة لأنهم يَقولونَ: إنَّ الرَّاغِبينَ في استحصالِ الكَمالاتِ كالرُّهبانِ وأضْرابِهم يَترفَّعونَ عَن أنْ يَتَدَنَّسوا بِدَناءَة التَّمتُّعِ بِالنِّساءِ، اقتِداءً بِالمَسيحِ عليه السلام.

فانْظُرْ إلى سَخافةِ العُقولِ وما قادَهُم إليه ضَلالُهم حَتىَّ اعترضوا على سَيِّدنا ومولانا مُحمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في زَواجِهِ.

وما أحْسَنَ ما قالَ الفاروقِيُّ، [1] ردا على بعضِ أحبارِ النَّصارَى بقوله:

قل لِلفرِسْنَلِ قُدْوَةِ الرُّهبـــانِ ❁❁❁ الـــجائليق البـــتْرِكِ الـــرَّبَّاني

أنتَ الذي زَعَمَ الزَّواجَ نَقيصَةً ❁❁❁ مِـــمّنْ حَماهُ الله عَنْ نُقْصـانِ

ونَسيتَ تَزْويجَ الإلهِ بِمَرْيَـــم ❁❁❁ في زَعْـــمِ كُلِّ مُثَلِّثٍ نَصْراني

ومَن جَعَلَ منَ العَرَبِ الملائكةَ بناتِ الله، كانَ يأْنَفُ مِنْهُنَّ، وسَنَّ وَأْدَهُنَّ وَقَتْلَهُنَّ، وَنَسَبوا لِلَّهِ ما يَكرهونَ.

والمقصودُ: أنَّ هذهِ المَقالاتِ وأشباهَها مَنْشَؤها الجهلُ بِما جاءَت بِهِ الرُّسُلُ، وَعَدَمُ تَحْكيمِ العَقْلِ، وإلا فأهلُ البصائِرِ لا يَتَطَرَّقُ إليهم هذا الخَلَلُ، واللهُ الموَفِّقُ.

---

(١) عبد الباقي العمري من شعراء العراق في القرن الثالث عشر الهجري.

قولهم بالتعطيل

قولهم بالتعطيل (الثانية والثلاثون) :

القولُ بِالتَّعطيلِ، كما كانَ يقوله آل فِرْعَونَ.

والتَّعطيلُ: إنكارُ أنْ يكونَ لِلعالَمِ صانِع، كما قال فرعونُ لِقومِهِ ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القَصَص : ٣٨]، ونحو ذلكَ.

ولم يَخْلُ العالَمُ عن مثلِ هذهِ الجَهالاتِ في كُلِّ عَصرٍ مِنَ العُصورِ.

وأبناءُ هذا الزَّمانِ إلا النَّادِرَ على هذه العَقيدةِ الباطِلة، ولو نَظَروا بِعينِ الإنصافِ والتَّدَبُّرِ، لَعَلِموا أنَّ كُلَّ مَوجودٍ في العالَمِ يَدُلُّ على خالِقِهِ وبارِئه:

وفي كُلِّ شَيْءٍ لَـــــهُ آيَةٌ ❁❁❁ تدُلُّ عـــــــلى أنَّهُ واحِدُ

ومِن أينَ لِلطَّبيعَةِ إيجادُ مِثل هذِهِ الدَّقائِقِ التي نَجِدُها في الآفاقِ والأنْفُسِ، وهي عَديمَةُ الشُّعُورِ لا عِلْمَ لَها وَلا فهْمَ، تَعَالى الله عَمَّا يَقولونَ عُلوًّا كَبيرًا.

الشركة في الملك

الشركة في الملك (الثالثة والثلاثون) :

الشركَةُ في المُلْكِ، كما تَقولهُ المَجوسُ، والمجوسُ أُمَّة تُعَظِّمُ الأنوارَ والنِّيرانَ والماءَ والأرضَ، ويُقرُّونَ بنُبُوَّةِ زرادِشْتَ، وَلَهُم شَرائِعُ يَصيرونَ إليها.

وهم فِرق شَتى:

- مِنهم المَزْدَكِيَّةُ أصحابُ مَزْدَكَ المُوْبَذ، والمُوْبَذُ عندهم العالِمُ القُدوةُ، وهؤلاءِ يَرونَ الاشتِراكَ في النِّساءِ والمَكاسِبِ كما يشتركُ في الهَواءِ والطُّرُقِ وغيرها.

- ومِنهم الخُرَّميّة أصحابُ بابِكَ الخرمي.

وهم شَرُّ طوائِفِهم، لا يُقِرُّون بِصانِعٍ ولا مَعادٍ ولا نبوَّةٍ ولا حَلالٍ ولا حَرامٍ.

وعلى مذهبِهِم : طوائِفُ القرامطة والإسماعيلية والنصيرية والكيسانية والزرارية والحكمية وسائر العبيدية الذين يسمون أنفسهم الفاطمية.

فكل هؤلاء يجمعهم هذا المَذهَبُ، ويتَفاوَتونَ في التَّفصيلِ، فالمجوسُ شُيوخُ هؤلاءِ كلِّهِم، وأئمتُهم وقُدوتُهم، وإن كانَ المَجوسُ قد يَتَقَيَّدونَ بأصلِ دِينهم وشَرائِعِهم، وهؤلاءِ لا يَتقَيَّدونَ بِدينٍ مِنْ دياناتَ العالم ولا بِشَريعَةٍ مِن الشرائع.

إنكار النبوات

إنكار النبوات (الرابعة والثلاثون) :

إنكارُ النُّبُوَّاتِ. وَكانوا يَقولون: ما حَكى الله عنهم بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ٩١﴾

[الأَنْعَام: ٩٠ - ٩١]

تفْسيرُ هذه الآية: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ﴾، شُروع في تَقْريرِ أمْرِ النُّبُوَّةِ، بَعْدَ ما حَكى الله سبحانَه عن إبراهيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه ذَكَرَ دَليلَ التوَحيدِ وإبطالِ الشِّركِ، وَقَرَّرَ سبحانَه ذلكَ بأفصح الدَّليلِ بأوْضَحِ وَجهٍ.

﴿حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾ أيْ: حَقَّ مَعْرفتِهِ وعن بعضِهم: ما عَظَّموا الله حَقَّ تَعْظِيمِه إِذْ قَالُوا منْكرينَ لبعثةِ الرُّسُلِ وإنزالِ الكُتُبِ، كافِرِيْنَ بِنعمةِ الله الجَليلةِ فِيهما: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖ﴾ أيْ: شَيئًا مِن الأشياءِ.

واختُلِفَ في قائِلِ ذلكَ القَولِ الشَّنيعِ:

- فَعَن مُجاهِدٍ أنَّهم مُشركو قُريشٍ.

- والجمهورُ على أنهمُ اليَهودُ، ومُرادُهُم مِن ذَلِكَ الطَّعْنُ في رِسالتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على سَبيلِ المُبالَغَةِ.

فَقيلَ لَهم على سبيلِ الإلزامِ: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾ فإنَّ الْمُرَادَ أَنَّهُ تَعَالَى قَدْ أَنْزَلَ التَّوراةَ على موسى عليه السلام وَلاَ سَبيلَ لَكم إلى إنكارِ ذلِكَ، فَلِمَ لا تُجَوِّزونَ إنزالَ القُرآنِ على مُحمَّدٍ صلى الله عليه وسلم .؟

والكلامُ في إثْباتِ النُّبُوَّةِ مُفَصَّلٌ في غيرِ هذا الموضِع.

والمقصودُ: أنَّ إنكارَها مِن سَنَن الجاهِلِيَّةِ، وفي النَّاسِ كَثيرٌ مِمَّن هو على شاكِلَتِهم ومُعْوَجِّ طَريقِهِم.

جحودهم القدر واحتجاجهم به على الله

جحودهم القدر، واحتجاجهم به على الله (الخامسة والثلاثون) :

جحودُ القَدَرِ، والاحْتِجاجُ بِهِ على الله تَعالى ومعارَضَةُ شرعِ الله بِقَدَرِ الله.

وهذهِ المَسألَةُ مِن غَوامِض مَسائلِ الدِّينِ، والوُقوفُ عَلى سِرِّها عَسِر إلا على من وَفَّقَه الله تَعالى.

ولابنِ القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كِتاب جَلِيْلٌ في هذا البابِ سمَّاه **"شِفاءَ العَليل في القَضاءِ والقَدَرِ والحِكْمَةِ والتَّعْليلِ"**.

وقد أبْطَلَ الله سُبحانَه هذه العَقيدةَ الجاهلية **بقولهِ تَعالى**: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ١٤٨ قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٤٩﴾ [الأنعام: ١٤٨ - ١٤٩].

تَفسيرُ هذه الآية: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾ حِكاية لفَنٍّ آخرَ مِن أباطيلِهم.

﴿لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا﴾ لَمْ يُريدوا بِهذا الكَلامِ الاعتذار عَنِ ارْتكابِ القَبيحِ، إذْ لم يَعْتقِدوا قُبحَ أفعالِهم، بل هُم كما نَطَقَتْ بِهِ الآيات يحسَبُونَ أَنَّهُمْ يحسِنونَ صُنعًا، وأنهم إنَّما يَعْبُدونَ الأصنامَ لِيُقَرِّبوهُم إلى الله زلْفى، وأنَّ التَّحريمَ إنما كانَ مِن الله عَزَّوَجَلَّ.

فَما مرادهُم بذلِكَ إلا الاحتجاجُ على أنَّ ما ارْتكَبوهُ حَقٌّ ومَشروع وَمرضيٌّ عند الله

تَعالى على أنَّ المشيئةَ والإرادةَ تُساوي الأمرَ، وتَسْتَلْزِمُ الرِّضى، كما زَعَمَتِ المُعْتَزِلَةُ.

فَيَكونُ حاصِلُ كلامِهِم : أنَّ ما نَرتكِبُهُ مِنَ الشِّركِ والتَّحريمِ وغيرِهما تَعَلَّقَتْ بهِ مَشيئَةَ اللهِ تعالى وإرادَتُه، وكل ما تَعَلَّقَتْ بهِ مَشيئَته سبحانه وإرادَتُه فَهو مَشروعٌ ومَرْضِيٌّ عندَ اللهِ تَعالى.

وبَعْدَ أنْ حَكى سُبحانهُ وَتَعالى ذلِكَ عَنهم، رَدَّ عَلَيْهِم **بِقولِهِ عَزَّ مِنْ قائِلٍ** ﴿ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ وهم أسلافُهُم المُشرِكونَ.

وحاصِلُهُ : أنَّ كلامَهم يَتَضَمَّنُ تكذيبَ الرُّسُلِ عليهم السلام، وَقَدْ دَلَّتِ المُعْجِزَةُ على صِدْقِهِم.

أو نَقولُ حاصِلُهُ : أنَّ ما شاءَ اللهُ يَجِبُ، وما لم يَشَأْ يَمْتَنِعُ، وكلُّ ما هذا شأنُه فلا تكليفَ بِهِ لِكونِهِ مَشروطًا بالاسْتِطاعة، فَيَنْتُجُ أنَّ ما ارْتكَبَهُ مِن الشِّركِ وغيرِهِ، لَم يتكَلَّفْ بِتَرْكِهِ ولمْ يُبْعَثْ لَهُ نَبِيّ.

فَرَدَّ اللهُ تَعالى عَلَيهم بأنَّ هَذِهِ كَلِمَةُ صِدْقٍ أُريدَ بِها باطِلٌ، لأنَّهم أرادوا بِها أن الرُّسُلَ عليهم السلام في دَعْواهُمُ البِعْثةَ والتكليفَ كاذِبونَ.

وَقَدْ ثَبَتَ صِدْقُهُم بِالدَّلائِلِ القَطْعِيّةِ، ولِكَوْنِهِ صِدْقًا أُريدَ بِهِ باطِلٌ، ذَمَّهُمُ اللهُ تَعالى بِالتكْذيبِ.

وَوجوبُ وُقوعِ مُتَعَلَّقِ المَشيئَةِ لا يُنافِي صِدقَ دَعْوى البِعثةِ والتكليفِ؛ لأنَّهما لإظهارِ المَحَجَّةِ وإبلاغِ الحُجَّةِ.

﴿ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَا ﴾ أي: نالوا عَذابَنا الذي أنْزَلْناهُ عَلَيْهم بتكْذيبهم، وفيه إيماءٌ إلى أنَّ لهم عَذابًا مُدَّخَرًا عِندَ اللهِ تَعالى؛ لأنَّ الذَّوقَ أوَّلُ إدْراكَ الشَّيْءِ.

﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾ أي: هلْ لَكُمْ مِنْ عِلمٍ بأنّ الإشراكَ وسائِرَ ما أنتُم عَلَيه مَرْضيٌّ عند اللَّهِ تَعالى فَتُظْهروهُ لَنَا بِالبُرْهانِ؟

وهذا دَليلٌ على أنَّ المُشرِكينَ أُمَم اسْتَوجَبوا التَّوبيخَ على قولهم ذلك؛ لأنَّهَم كانوا يَهْزَءونَ بالدِّين، ويَبْغونَ رَدَّ دَعْوةِ الأنبياء عليهم السلام، حَيثُ قرع مسامعهم من شَرائِعِ الرسُلِ عليهم السلام تَفْويضُ الأمورِ إلَيْهِ سُبحانَهُ وَتَعالى، فَحينَ طالبوهُم بالإسلامِ، والتِزام الأحكامِ، احْتَجُّوا عَلَيْهِم بِما أخَذوه مِن كَلامِهم مُسْتَهْزِئينَ بِهم عليهم السلام، ولم يَكُنْ غَرَضُهُمْ ذِكْرَ ما يَنْطَوي عَلَيْهِ عِقْدُهُم، كَيفَ لا والإيمانُ بصفاتِ الله تَعالى فَرْعُ الإيمانِ بِهِ عَزَّ شَأْنُهُ وَهُوَ عَنهم مناطُ العَيُّوق.

﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾ أيْ: تكْذِبونَ على الله تَعالى.

﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ أي: البينَةُ الواضِحَةُ التي بَلَغَتْ غايَةَ المَتانَةِ والقُوَّةِ على الإثباتِ.

والمُرادُ بِها في المَشهورِ: الكتابُ والرَّسولُ والبَيانُ.

﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ بالتَّوفيقِ لَها، والحَمْلِ عَليها، وَلَكِنْ شاءَ هِدايَةَ البَعْضِ الصَّارِفينَ اختِيارَهُم إلى سُلوكِ طَريقِ الحَقِّ، وضَلالَ آخَرينَ صَرَفوه إلى خِلافِ ذَلِكَ.

ومِنَ النَّاسِ مَنْ ذَكَرَ وَجْهًا آخَرَ في توجيهِ ما في الآية : وهو أنَّ الرَّدَّ عَليهم إنَّما كانَ لاعْتِقادِهِم أنَّهم مُسَلِّمونَ اختِيارَهم وقُدْرتهم، وأنَّ إشراكَهم إنَّما صَدَرَ مِنهم على وجْهِ الاضْطرارِ وَزَعَموا أنَّهم يُقيمونَ الحُجَّةَ على الله تَعالى، ورسوله صلى الله عليه وسلم بِذَلِكَ.

فَرَدَّ الله تعالى قولَهم في دَعْواهُم عَدَم الاخْتيارِ لأنفسِهم، وَشَبَّهَهُمْ بِمَنِ اغْتَرَّ قَبْلَهُم بهذا الخَيال، فكَذَّبَ الرُّسُلَ، وَأشْرَكَ بِاللهِ عَزَّوَجَلَّ، واعْتَمَدَ على أنَّه إنَّما يَفْعَلُ ذَلِكَ بِمَشِيْئَةِ اللهِ تَعالى وَرامَ إفْحامَ الرُّسُلِ بِهذِهِ الشُّبْهَةِ، ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ أنَّهم لا حُجَّةَ لَهم في ذَلِكَ، وأنَّ الحُجَّةَ البالِغَةَ لَه تَعالى لا لَهم، ثُمَّ أوْضَحَ سُبحانَه أنَّ كُلَّ واقعٍ واقعٌ بِمشيْئَتِهِ، وأنَّه لم يَشَأْ مِنهمْ إلاَ ما صدَرَ عَنهم، وأنَّه تَعالى لَو شاءَ مِنهمُ الهدايةَ لاهْتَدَوا أجْمَعينَ.

والمقصود: أنْ يَتَمَحَّضَ وجهُ الرَّدِّ عَليهم، وَتَتَخَلَّصَ عَقيدةُ نُفوذِ السنة وعموم تغلغلها بكُلِّ كائن عنِ الرَّدِّ، ويَنْصَرِفَ الرَّدُّ إلى دَعواهُم سَلْبَ الاخْتيار لأنفُسهم، وأنّ إقامتهم الحجة بذلِكَ خاصَّة.

وإذا تَدَبَّرْتَ الآية وَجَدْتَ صَدرَها دَافِعًا لِصُدورِ الجَبْرِية، وعَجُزَها مُعْجزًا للمُعْتزلة:

- إذِ الأوَّلُ مُثبتٌ أنَّ لِلْعَبْدِ اختيارًا وقُدْرةً على وجْهٍ يَقْطعُ حُجَّتَه وعُذْرَهُ في المُخالَفَةِ والعِصْيانِ.

- والثَّاني مُثبتٌ نُفوذَ مَشيئَةِ الله تَعالى في العبدِ، وأنَّ جَميعَ أفعالِه على وَفْقِ المَشيئة الإلهيةِ، وبذلكَ تَقومُ الحُجَّةُ البالغة لأهلِ السُّنَّةِ على المُعتزلةِ، والحمدُ لِلَّهِ ربِّ العالَمينَ.

ومِنهم مَن وجَّهَ الآية : بأنَّ مرادَهم رَدُّ دعوةِ الأنبياء عليهم السلام على مَعنى أنَّ الله تَعالى شاءَ شِرْكَنا، وَأرادَهُ مِنَّا، وَأنْتُم تُخالِفونَ إرادَتَه، حَيثُ تَدعونا إلى الإيمانِ.

فَوَبَّخَهُم سُبحانَه وَتَعالى بوُجوه عِدَّة:

ـ منها : **قولُه سُبحانَه:** ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ فإنه بتقدير الشَّرطِ، أي إذا كانَ الأمرُ كما زَعَمْتُم ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾.

ـ **وقولُه سُبحانَه:** ﴿فَلَوْ شَآءَ﴾ بَدَل منه على سَبيلِ البَيانِ، أي لَو شاءَ لَدَلَّ كُلاًّ منكم ومِنْ مُخالِفيكم على دينه، لَو كانَ الأمرُ كَما تَزْعُمونَ، لَكان الإسلامُ أيْضًا بِالمشيئةِ، فَيَجِبُ أنْ لا تَمْنَعوا المُسلِمينَ من الإسلامِ، كما وَجَبَ بِزعمكم ألا يمنَعَكُم الأنبياءُ عن الشِّركِ. فَيَلْزَمُكُم أنْ لا يكونَ بَيْنكم وبَيْنَ المُسْلِمينَ مُخالَفَة ومُعاداةٌ، بَلْ موافَقَة وموالاة.

وحاصِلُه : أنَّ ما خالَفَ مَذْهَبكم منَ النِّحَلِ يَجِبُ أنْ يَكونَ عِندكم حَقًّا؛ لأنه بِمشيئة الله تَعالى، فَيَلْزَمُ تَصحيحُ الأديانِ المُتناقِضَة.

ـ **وقال** عَزَّوَجَلَّ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾ [النَّحل : ٣٥].

الكلامُ عَلى هذه الآية كالكَلام على الآية السَّابقةِ.

وَلا تَراهُمْ يَتَشَبَّثونَ بِالمشيئةِ إلا عِنْدَ انخِذالِ الحُجَّةِ. ألا تَرَى كيفَ خَتَمَ بِنَحوِ آخر مجادلاتهم في سورة الأنعام في الآية السابقة.

وكذلك **قولُه تَعالى:** ﴿وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُمْ ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾

[الزُّخْرُف : ١٩ - ٢٢].

ويكفي في الانقلاب مايشير إليه **قوله سبحانه**: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ [الأَنعَام : ١٤٩].

والمُرادُ بِما حَرَّموهُ السَّوائِبُ والبَحائرُ وغَيْرُها.

وَفِي تَخْصيصِ الاشْتِراكِ والتَّحْريمِ بالنَّفي؛ لأنَّهُما أعْظَمُ وأشْهَرُ ما هُمْ عَلَيْهِ.

وَغَرَضُهُم مِنْ ذَلِكَ تكْذيبُ الرَّسولِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والطَّعْنُ في الرِّسالةِ رَأْسًا، فَإِنَّ حاصِلَهُ أيْ ما شاءَ الله يَجِبُ، وما لمْ يَشَأْ يَمْتَنِعُ، فَلَوْ أنَّهُ سُبْحانَهُ وَتَعالى شاءَ أنْ نُوَحِّدَهُ، وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئا، وَنُحَلِّلَ ما أحَلَّهُ، ولا نُحَرِّمَ شَيْئا مِمَّا حَرَّمْنا كَما تَقولُ الرُّسُلُ وَيَنْقُلونَه مِنْ جِهَتِهِ تَعالى لَكانَ الأمرُ كَما شاءَ مِنَ التَّوحيدِ ونَفْي الإشراكِ، وَتَحْليلِ ما أحَلَّهُ، وَعَدَمِ تَحْريمِ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَحَيْثُ لَم يَكُنْ كَذلِكَ، ثَبَتَ أنه لَم يَشَأْ شَيْئًا مِن ذَلِكَ بَلْ شاءَ ما نحنُ عَلَيْهِ.

وتَحَقَّقَ أنَّ ما يَقولُهُ الرُّسُلُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِن تِلْقاءِ أنْفُسِهِمْ.

فَرَدَّ الله تَعالى عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النَّحل : ٣٥]، مِن الأمَمِ، أيْ: أشْرَكوا بِاللهِ تَعالى، وَحَرَّموا مِنْ دونِهِ ما حَرَّموا، وجادَلُوا رُسُلَهُمْ بِالباطِلِ لِيُدْحضوا بِهِ الحَقَّ.

﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾ [النَّحل : ٣٥] أيْ: ليستْ وَظيفَتُهُمْ إلا البَلاغِ للرِّسالَةِ، المُوَضِّحَ طَريقَ الحَق والمُظْهِر أحْكامَ الوحْيِ التي مِنها تَعَلُّقُ مَشيئَتِهِ تَعالى باهْتِداءِ مَنْ صرَفَ قُدْرتَهُ واخْتِيارَهُ إلى تَحْصيلِ الحَقِّ؛ لقولِهِ تَعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟

فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [العَنكبُوت : ٦٩] وأمَّا إلْجاؤهمْ إلى ذَلِكَ، وتنفيذُ قَوْلهم عليهِ شاءوا أوْ أبَوْا كما هو مُقْتَضى اسْتِدْلالِهم فليسَ ذَلِكَ مِن وَظيفَتِهم، ولا مِن الحِكْمَةِ التي يَتوَقَّفُ عَلَيْها التكليفُ، حَتّىَ يُسْتَدَلَّ بعدمِ ظُهورِ آثارِهِ على عدمِ حَقيقةِ الرسلِ عليهم السلام أو على عدمِ تَعَلُّقِ مَشْيَتِهِ تَعالى بذَلِكَ، فإنَّ ما يَتَرَتَّبُ عليه الثوَّابُ والعِقابُ مِن الأفْعالِ لا بُدَّ في تَعَلُّقِ مَشيئتِهِ تَعالى بِوقوعِهِ مِن مُباشَرَتِهم الاخْتِيارِيّة، وَصَرْفِ اخْتِيارِهم الجُزْئِيِّ إلى تَحْصيلِهِ، وإلا لَكانَ الثوَّابُ والعِقابُ اضطِراريين، والكلامُ على هذهِ الآية ونحوِها مُسْتوفىً في تفسير "رُوحِ المعاني" وغيرِهِ.

فجُحودُ القَدَرِ والاحتجاجُ بِه على الله ومُعارَضَةُ شرع الله بِقَدَرِهِ، كُلُّ ذَلِكَ مِن ضلالاتِ الجاهِلِيَّةِ.

والمَقْصودُ: أنَّهُ لا جَبْرَ وَلا تَفْويضَ، ولكنْ أمْر بَيْنَ أمْرَيْنِ، فمَنْ زَلَّتْ قَدَمُهُ عَنْ هَذِهِ الجادَّةِ كانَ على ما كانَ عليهِ أهلُ الجاهِلِيَّةِ، وهِيَ الطَّريقَةُ التي رَدَّ عَلَيْهَا الله سبحانَه ورَسُولهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

مسبة الدهر

مسبة الدهر (السادسة والثلاثون) :

مسَبَّة الدَّهْرِ: كقولهِم : ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجَاثِيَة : ٢٤] وذلكَ أنَّ الله تَعالى أرادَ بَيانَ أحْكامِ ضلالِهم والخَتْمِ على سَمْعِهم وقُلوبِهم وجَعل غِشاوة على أبصارِهِم، فَحَكى عنهم ما صدَرَ عَنهم بقوله سُبحانَه وتَعالى: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ التي نَحْنُ فيها ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أيْ: تَموتُ طائِفَة، وَتَحْيا طائِفةٌ، ولا حَشْرَ أصلا.

ومِنهم مَن قالَ: إنَّ كَثيرًا مِن عُبَّادِ الأصنامِ كانَ يقول بِالتَّناسُخِ، وَعَلَيْهِ فالمُراد بِالحياةِ: إعادةُ الرُّوحِ لِبَدَنٍ آخَرَ ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ أيْ: طول الزَّمانِ.

وإسنادُهُمُ الإهلاكَ إلى الدهرِ إنكار مِنهم لِمَلَكِ الموتِ وقَبْضِهِ الأرواحَ بِأمرِ الله تَعالى، وكانوا يُسْنِدونَ الحوادِثَ مُطْلقًا إلَيْهِ؛ لِجَهْلِهم أنَّها مُقَدَّرة مِن عندِ الله تَعالى، وَأشْعارُهُم لِذَلِكَ مَملوءة مِن شَكْوى الدَّهْرِ،[1] وهؤلاءِ مُعْترفون بوجودِ الله تَعالى، فَهُمْ

---

(١) مثل قول قائلهم:

أشاب الصغير وأفنى الكبير ❁❁❁ كـــــر الغداة ومر العشي

ومثل قول الآخر:

منع البقاء تقلـــب الشمس ❁❁❁ وطلوعها من حيث لا تمسي

وقول الآخر:

=

غَيْرُ الدَّهْرِيَّة. فإنَّهم مَعَ إسنادِهِمُ الحوادِثَ إلى الدَّهْرِ لا يَقولونَ بِوُجوده سُبْحانَه وَتَعالى عَمَّا يَقولونَ عُلوّا كَبيرا والكُلُّ يَقولُ بِاسْتِقْلالِ الدَّهْرِ بِالتأثيرِ.

✍ وقَد جاءَ النَّهيُ عَنْ سبِّ الدَّهْرِ :

📖 أخْرجَ مُسْلِمٌ: «لا يَسُبّ أحَدُكُم الدَّهْرَ، فَإنَّ الله هو الدَّهْرُ».

📖 وفي رِوَايَةٍ لأبي داودَ والحاكِم «قالَ الله عَزَّوَجَلَّ : يُؤذيني ابنُ آدمَ يقولُ: يا خيبةَ الدَّهرِ، فلا يَقُلْ أحَدُكُم يا خيبةَ الدَّهرِ، فإنِّي أنا الدَّهرُ، أقَلِّبُ لَيْلَهُ وَنَهارَهُ».

📖 وَرَوى الحاكِمُ أيْضًا: «يقولُ الله عَزَّوَجَلَّ : اسْتَقْرَضتُ عَبْدي فلم يُقْرِضْني، وَشَتَمَنِي عبدي وهو لا يَدْرِي، يقولُ: وادَهْراهُ! وَأنا الدَّهرُ».

📖 وَرَوَى البَيْهقِيُّ: «لا تَسُبوا الدَّهرَ، قال الله عَزَّوَجَلَّ : أنا الأيّامُ والليالِي، أجَدِّدُها وأبلْيها، وآتي بِمُلوكٍ بعدَ مُلوكٍ».

ومَعْنى ذَلِكَ : أنَّ الله تَعالى هو الآتي بالحوادِثِ، فَإذا سَبَبْتُمُ الدَّهرَ على أنَّهُ فاعِل، وَقَعَ السَّبُّ عَلى الله عَزَّوَجَلَّ.

﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ أيْ: لَيسَ لَهم بِما ذُكِرَ مِنْ قَصْرِ الحياةِ على ما فِي الدُّنيا وَنسْبَةِ الإهلاكِ إلى الدَّهرِ عِلم مُسْتَنِد إلى عَقْلٍ أو نَقْلٍ.

رماني الدهر بالأرزاء حتى ✿✿✿ فؤادي في غشاء مـــــن نبال
وكنت إذا أصابتني سهام ✿✿✿ تكسرت النصال على النصال

والشعر في ذلك قديمًا وحديثًا كثير.

﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ أيْ: ما هُم إلا قَوم قُصارَى أمرِهِم الظَّنُّ والتقليدُ مِنْ غَيْرِ أنْ يَكونَ لَهُم ما يَصِحُّ أَنْ يَتَمَسَّكَ بِهِ في الجُمْلَة.

✍ وقَدْ ذَكَرْنَا في غَيْرِ هذا المَوْضِع ما يَتَعَلَّقُ بالدَّهْرِيينَ.

والمقصود: أنَّ مَنْ يقول بإسنادِ الحوادِثِ إلى غيرِ الله تَعالى كالدَّهرِ، فَذلك ليسَ لَهُ مستندٌ عقلَيّ وَلاَ نَقْلِيٌّ، بَل هو مَحْضُ جَهْلٍ، وقائِلُهُ جاهلٌ في أيِّ عَصْرٍ كانَ.

ولأهل زماننا حظ وافر من هذا الاعتقاد الباطل!.

والله المستعان.

إضافة نعم الله إلى غيره

إضافة نعم الله إلى غيره (السابعة والثلاثون) :

إضافةُ نِعَمِ الله إلى غيرِهِ. **قال الله تعالى**: ﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٣﴾ [النَّحل : ٨٣].

وقدْ عَدَّدَ الله تَعالى نِعَمَهُ على عِباده في هذهِ السُّورةِ إلي أنْ قالَ ﴿وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ٨١ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٨٢ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٣﴾ [النَّحل : ٨١ - ٨٣].

فقوله ﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ﴾ [النَّحل : ٨٣] إلخ اسْتِئناف لِبيانِ أنَّ تَولي المُشرِكينَ وإعراضَهم عن الإسلامِ لَيْسَ لِعَدَمِ مَعْرِفتِهم نِعمةَ الله سُبْحانَه وَتَعالى أصلا، فإنِّهم يَعرِفون أنَّها مِن الله تَعالى، ثُمَّ يُنْكِرونَها بأفعالِهم، حيثُ لم يُفْردوا مُنْعِمَها بالعِبادةِ، فَكَأنَهم لمْ يَعْبُدوه سُبحانه وَتَعالى أصْلا، وذَلِكَ كُفْران مُنَزَّل مَنْزِلَةَ الإنكارَ.

📖 وأخرجَ ابنُ جريرٍ وغيرهُ **عَنْ مُجاهِدٍ أنه قَالَ**: إنكارُهُم إيَّاها قولُهم: وَرِثْناها مِن آبائِنا.

📖 وأخرجَ هو وغيرُهُ أيْضًا **عن عونِ بنِ عبدِ اللهِ أنه قالَ**: إنكارُهم إيَّاها أنْ يقولَ الرَّجُلُ: لَوْلا فلانٌ أصابَني كَذَا وَكَذَا، وَلَوْلا فلانٌ لم أُصِبْ كَذَا وَكَذَا.

وَفِي لَفظٍ: إنكارُها: إضافتُها إلى الأسبابِ.

وبعضُهُم يقولُ: إنكارُهُم: قولُهم: هي بشفاعة آلهتهم عند الله تَعالى.

وَمِنهم مَن قال: النِّعمةُ هنا مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيْ: يَعْرفونَ أنَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيّ بِالمُعْجِزاتِ، ثُمَّ يُنكِرون ذَلِكَ، وَيَجْحَدونَه عِنادًا.

﴿ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [النَّحل : ٨٣] أيْ: المُنكِرون بِقُلوبِهم، غيرُ المُعْتَرفين بما ذُكِرَ. والتَّعبيرُ بالأكثرِ إمَّا لأنَّ بعضهم لم يَعْرِفِ الحَقَّ لِنُقصانِ عقلِه وعدمِ اهتدائِهِ إليه، أو لِعدمِ نَظَرِهِ في الأدلَّة نَظَرًا يُؤدِّي إلى المَطْلوبِ، أو لأنَّه لمْ تَقُمْ عليهِ الحُجَّةُ؛ لِكونِهِ لم يَصِلْ إلى حَدِّ المُكَلَّفينَ لِصغرٍ ونحوِه، وإمَّا لأنَّه يُقامُ مقامَ الكُلِّ، فإسنادُ المعرفةِ والإنكارِ المتفرِّع عَلَيْها إلى ضَميرِ المشركينَ على الإطلاقِ مِن باب إسناد حالِ البعضِ إلى الكلِّ.

وَمِمَّا يَجْرِي هذا المَجْرى **قولُهُ تعالى** : ﴿ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الوَاقِعَة : ٨١ - ٨٢] أيْ: تَقولونَ: مُطِرْنا بِنَوْءِ كَذا وكَذا.

📖 رَوَى مُسْلِم وغيرهُ **عن ابنِ عبَّاس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قالَ**: مُطِرَ النَّاسُ على عَهْدِ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**أَصْبَحَ مِنَ الناسِ شاكِرٌ، ومِنهم كافِرٌ، قالوا: هذهِ رحمة وضَعَها الله، وقالَ بعضُهم: لَقَد صَدَقَ نَوْءُ كَذا، فَنَزَلَتْ هَذه الآية** ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الوَاقِعَة : ٧٥] **حَتَّى بَلَغَ** ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الوَاقِعَة : ٨٢] » إلَى غيرِ ذَلِكَ مِنَ الآثارِ.

والمقصود: أن إسناد النعم إلى غير منعمها الحقيقي كفران لها.

وَقَدْ ذَكَرْنا مَذهبَ العربِ في الأنواءِ في غيرِ هذا الموضِعِ، وَفَصَّلْناه تفْصيلا، وَذَكَرْنا شِعْرَهُمُ الدَّال على مَذهَبِهم هذا. **واللهُ المُوَفِّقُ.**

الكفر بآيات الله

الكفر بآيات الله (الثامنة والثلاثون) :

الكفرُ بآيات الله. والنصوصُ الدالَّةُ على ذلك في القرآنِ كثيرة:

مِنها **قولُهُ تعالى**: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ١٠٥ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ١٠٦﴾ [الكهف : ١٠٥ - ١٠٦] بَعْدَ قولِهِ سُبحانَه [الكهف: ١٠٣- ١٠٤] : ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤﴾ [الكهف : ١٠٣ - ١٠٤].

فقولُه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ كلام مُسْتَأنَفٌ منهُ مَسوق لتكْميلِ تعريفِ الأخْسَرينَ، وتَبيينِ خُسرانِهِم وضَلالِ سعْيِهِم وتَعْيينهم، بحيثُ يَنْطَبِقُ التَّعريفُ على المُخاطَبينَ. أيْ أولئكَ المَنْعوتونَ بِما ذُكِرَ من ضَلالِ السَّعْيِ والحُسْبانِ المذكورِ.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ بدلائِلِهِ سُبحانَه الدَّاعِيَة إلى التَّوحيدِ الشَّاملة للسَّمعيَّةِ والعقليّةِ. ﴿وَلِقَآئِهِۦ﴾ هو كِنايةٌ عن البعثِ والحَشْرِ وما يَتْبَعُ ذلك من أُمورِ الآخِرَةِ، أي لم يؤمِنوا بِذَلِكَ على ما هو عَلَيه. ﴿فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ١٠٥﴾ [الكهف : ١٠٥] أيْ: فَنَزْدَري بهم، وَنَحْتَقِرُهُم.

ومِنَ النُّصوصِ ما يَدُلُّ على أنَّ مِنهم مَن كان يُنْكِرُ بَعضَ الآياتِ، ومِنهم مَن كانَ مُعْرِضًا عَنْها وهاجرًا لها، ولاَ يَخْفى عليك أنَّ مِنَ النَّاسِ اليومَ مَن هُوَ أدْهى وأمَرُّ مِمَّا كانَ عَلَيْهِ أهلُ الجاهِلِيَّة فِي هَذَا البابِ.

اختيار كتب الباطل ونبذ آيات الله

اختيار كتب الباطل، ونبذ آيات الله (التاسعة والثلاثون):

اشْتِراء كُتُبِ الباطِلِ واخْتِيارُها عليها، أيْ عَلى الآيات.

قالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ [البَقَرَة: ٩٩ -١٠٢]

إلى قوله: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [البَقَرَة: ١٠٢ - ١٠٣]

وَمَعنى قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ﴾ أيْ: اسْتبدَلَ ما تَتْلوا الشَّياطينُ بِكتابِ الله.

﴿مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ أي: نَصيبٍ.

﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ أيْ: واللهِ لَبِئْسَ شَيْئًا شَرَوا بِهِ حُظوظَ أنْفُسِهِم، أيْ: باعوها أو شَرَوْها في زعْمِهِم ذَلِكَ الشِّراءَ.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟﴾ أيْ: بِالرَّسولِ أوْ بِما أُنْزِلَ إلَيْهِ مِنَ الآياتِ أو بِالتَّوْراةِ.

﴿وَٱتَّقَوْا۟﴾ أيْ: المَعاصي

التي حُكِيَتْ عَنْهُمْ. ﴿لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ أيْ: أنَّ ثَوابَ

الله تَعالى خَيْرٌ لَهُمْ، وبِمَعْنى هذه الآيةِ **قولُه تَعالى** : ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البَقَرَة : ٧٨ - ٧٩].

وَهَذه الآية نَزَلَتْ في أحبارِ اليهودِ الذينَ خافُوا أنْ تَذهبَ رِياسَتُهم بإِبْقاءِ صفَةِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على حالِها، فَغَيَّروها.

القدح في حكمة الله تعالى

القدح في حكمة الله تعالى (الأربعون) :

القَدْح في حِكْمَتِهِ تَعالى.

أقولُ: مِنْ خِصالِ الجاهلية:

- القَدْحُ في حِكْمَتِهِ تَعالى.

- وأنَّهُ لَيْسَ بحَكيمٍ في خَلْقِهِ. بِمعنى أنه سُبحانَه يَخْلُقُ ما لا حِكْمَةَ لَهُ فيهِ، وَيَأمُرُ وَيَنْهى بِما لا حِكْمَةَ فيهِ.

وقد حَكى الله تَعالى ذَلِكَ بقولِهِ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾﴾ [ص : ٢٧].

وَقَالَ سُبحانَه: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ [المُؤمِنُون : ١١٥ - ١١٦].

وقال عَزَّوَجَلَّ : ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الدُّخان : ٣٨ - ٣٩].

وقال عَزَّوَجَلَّ : ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأَنبِيَاء : ١٦ - ١٧].

وقال عَزَّوَجَلَّ : ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾﴾ [الحِجر : ٨٥]، إلى غيرِ ذلك من الآياتِ النَّاصَّةِ على

أنَّ الله تَعالى لَم يَخلُقْ شَيْئًا مِن غيرِ حِكمةٍ وَلا عِلَّة، عَلى خِلافِ ما يَعْتَقِدُهُ أهلُ الباطِلِ مِنَ الجاهِلِينَ، وَمَن نَحا نَحْوهُمْ مِن هذِهِ الأمَّةِ مِمَّنْ نَفى الحِكمةَ عَن أفعالِهِ سُبحانَه وَتَعالى.

وهَذِهِ مَسألةٌ طويلةُ الذَّيلِ، قَدْ كَثُرَ فيها الخِصامُ بَيْنَ فِرَقِ المُسلِمينَ، والحقُّ ما كانَ عَلَيه السَّلَفُ مِن إثباتِ الحِكمةِ والتَّعليلِ.

وقدْ أطْنَبَ الكلامَ عليها الحافِظُ ابنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كِتابِه "**شِفاءِ العليلِ في مسائلِ القَضاءِ والقَدَرِ والحِكْمَةِ والتَّعْليلِ**" وَعَقَدَ بابًا مُفَصَّلا في طُرُقِ إثباتِ حِكمةِ الرَّبِّ تَعالى في خَلْقِهِ وَأمْرِهِ، وإثباتِ الغاياتِ المَطلوبةِ والعواقِبِ الحَميدَةِ الَّتي فَعَلَ وَأَمَرَ لأجلِها.

ومِن جُملةِ ما قالَ في هذا البابِ: إنه سُبحانَه وَتَعالى أنكَرَ على مَن زَعَمَ أنَّه لم يخلُقِ الخَلْقَ لِغايةٍ ولا لحِكمةٍ، كَقَولِهِ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ [المُؤمِنُون : ١١٥] وَقَولِهِ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الدُّخَان : ٣٨ - ٣٩] .

والحَقُّ: هو الحِكَمُ والغاياتُ المحمودةُ، التي لأجلِها خَلَقَ ذَلِكَ كُلَّهُ وهو أنواعٌ كثيرةٌ منها أنْ يُعْرَفَ اللهُ بأسمائِهِ، وصِفاتِهِ، وأفعالِهِ، وآياتِهِ.

- **ومِنها**: أنْ يُحَبَّ، وَيُعْبَدَ، وَيُشْكَرَ، ويُطاعَ ومِنها: أنْ يأمُرَ، وَيَنْهى، وَيُشَرِّعَ الشَّرائِعَ.

- **ومِنها**: أنْ يُدَبِّرَ الأمرَ، ويُبْرِمَ القَضاء، وَيَتَصَرَّفَ في المَمْلَكَة بأنواعِ التَّصَرُّفاتِ.

- **ومِنها**: أنْ يثيبَ ويُعاقِبَ، فَيُجازِيَ المُحْسِنَ بإحْسانِهِ، والمُسيءَ بإساءَتِهِ، فَيَكونَ أثَرُ عَدْلِهِ وفَضْلِهِ موجودًا مُشاهَدًا، فَيُحْمَدَ على ذَلِكَ ويُشْكَرَ.

ـ **ومِنها**: أنْ يُعْلِمَ خَلْقَهُ أنه لا إِلهَ غَيْرُهُ، وَلاَ رَبَّ سِواهُ. ومِنها: أنْ يَصْدُقَ الصَّادِقُ فَيُكْرِمَهُ، وَيَكْذِبَ الكاذِبُ فَيُهِينَهُ.

ـ **ومِنْها**: ظُهُورُ آثارِ أسْمائِهِ وَصِفاتِهِ عَلى تنوُّعِها وكَثرتِها في الوُجودِ الذِّهْنِيَ والخارجي، فيعلم عباده ذلك علمًا مطابقًا لما في الواقع.

ـ **ومِنْها**: شَهادةُ مَخلوقاتِهِ كُلِّها بأنه وَحْدَهُ ربها وَفاطِرُها ومَليكُها، وأنه وَحْدَهُ إِلهُها ومَعْبودُها.

ـ **ومِنْها**: ظُهورُ آثارِ كَمالِهِ المُقَدَّسِ، فإِنَّ الخَلْقَ والصُّنْعَ لازِمُ كَمالِهِ، فإِنَّه حَيٌّ قديرٌ، ومَن كانَ كَذَلِكَ لم يَكُنْ إلا فاعِلا مُختارا.

ـ **ومِنها** : أنْ يُظْهِرَ أثَرَ حكمتِهِ في المخلوقاتِ بوضعِ كُلٍّ مِنها في مَوضِعِهِ الذي يَليقُ بِهِ، ومَجيئِهِ على الوجهِ الذي تَشْهَدُ العُقولُ والفطَرُ بِحُسْنِهِ، فتشهَدَ حِكْمَتُهُ الباهِرة.

ـ **ومِنها**: أنَّه سُبحانه يُحِبُّ أنْ يَجودَ ويُنْعِمَ ويَعْفُوَ وَيَغْفِرَ وَيُسامحَ، ولا بُدَّ مَن لوازمِ ذَلِكَ خَلْقًا وشَرْعًا.

ـ **ومِنها**: أنَّه يُحِبُّ أنْ يُثْنى عَلَيْهِ، ويُمْدَحَ ويُمَجَّدَ، وَيُسَبَّحَ وَيُعَظَّمَ.

ـ **ومِنها**: كثرةُ شواهدِ رُبوبيتِهِ وَوَحْدانِيتِهِ وَإِلهيتِه. إلى غير ذلكَ من الحِكمِ التي تَضَمَّنَها الخَلْقُ، فَخَلَقَ مَخْلوقاتِهِ بِسببِ الحَقِّ.

ولأجْلِ الحَقِّ، وَخَلْقُها مُلْتَبِس بالحَقِّ، وهو في نفسِهِ حَقّ: فَمَصْدَرُهُ حَقٌّ، وغايتُه حَقٌّ، وهو يَتَضَمَّنُ الحَقَّ. وقَدْ أثنى على عِبادِهِ المؤمِنينَ حَيْثُ نَزَّهوهُ عنْ إيجادِ الخَلْقِ، لا لِشَيْءٍ ولا لِغاية، **فَقَالَ تعالى**: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ

لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ ﴾ [آل عِمْرَان : ١٩٠ - ١٩١].

وَأخْبَرَ أنَّ هَذَا ظَنُّ أعدائِهِ، لا ظَنُّ أوليائِهِ **فقال**: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [ص : ٢٧] .

وكيفَ يَتَوَهَّمُ أنَّه عَرَفَهُ مَن يقولُ: إنَّه لم يَخلقِ لِحكمةٍ مطلوبة لَه، ولا أمَر لِحكمةٍ، ولا نَهَى لِحكمةٍ، وإنَّما يَصدُرُ الخَلْقُ والأمرُ عن مشيئَةٍ وقُدْرَةٍ مَحْضَةٍ، لا لِحكمةٍ ولا لِغاية مقصودةٍ.

وهلْ هذا إلا إنكارٌ لحقيقة حَمْده بَل الخَلْقُ والأمرُ إنَّما قامَ بالحكمِ والغاياتِ، فَهُما مَظْهَرانِ لِحمده وحِكمتِهِ.

فإنكارُ الحكمةِ إنكارٌ لِحقيقةِ خَلْقِهِ وأمرِهِ، فإنَّ الذي أثبَتَهُ المُنْكِرونَ مِن ذَلِكَ لنَزَّهُ عنه الرَّبُّ، ويَتعالى عَن نسبتِهِ إليهِ، فإنَّهم أثْبَتوا خَلْقًا وَأمرًا لا رَحْمَةَ فيهِ ولا مَصْلَحَةَ ولا حِكمةَ، بَلْ يَجوزُ عِنْدَهُم أو يَقَعُ أنْ يَأمرَ بِما لا مَصلحةَ لِلْمُكَلَّفِ فيه ألبتة، ويَنْهى عَمَّا فيه مَصلحة، والجميعُ بالنِّسبة إليه سواءٌ ويَجوزُ عِندَهم أنْ يَأْمُرَ بِكُلِّ ما نَهى عَنه، وَيَنْهَى عن جَميعِ ما أمَرَ بِهِ، ولا فَرْقَ بَيْنَ هذَا وهذَا إلا بِمُجَرَّدِ الأمْرِ والنَّهْي.

وَيَجوزُ عِندَهم أنْ يُعَذِّبَ مَنْ لَم يَعْصِهِ طَرْفَةَ عَينٍ، ويثيبَ مَن عصَاهُ بلْ أفْنى عُمُرَهُ في الكُفْرِ بِهِ والشِّرْكِ والظلْمِ والفُجورِ، فَلاَ سَبيلَ إلى أنْ يُعْرَفَ خِلافُ ذلِكَ منه إلا بِخَبَرِ الرَّسول، وإلا فهو جائِزٌ عليه.

وَهَذَا مِن أقْبَحِ الظَّنِّ وأسوئِهِ بالرَّبِّ سُبحانَه، وَتنزيهُهُ عَنْهُ كَتنزيهِهِ عن الظلْمِ والجَوْرِ، بَلْ هذا هو عَيْنُ الظلْمِ الَّذِي يَتعالى الله عَنْهُ.

والعَجَبُ العُجابُ أنَّ كَثيرًا مِن أربابِ هَذَا المَذْهَبِ ينزِّهونَه عَمَّا وَصَفَ بِهِ نَفْسَه مِن صِفاتِ الكَمالِ ونُعوتِ الجَلالِ، ويزعمون أن إثباتها تجسيمٌ وتشبيهٌ، ولا ينزِّهونه عن هذا الظلم والجَوْرِ، ويَزْعُمونَ أنه عَدْل وَحَقّ، وأنَّ التَّوْحيدَ عِندَهُم لا يَتِمُّ إلا بِهِ، كما لا يتِمُّ إلا بإنكارِ اسْتِوائِهِ عَلَى عَرْشِهِ، وعُلُوِّهِ فَوْقَ سَماواتِه، وتكَلُّمِهِ وتكليمِهِ، وصِفاتِ كمالِه فلا يَتِمُّ التَّوحيدُ عند هذهِ الطَّائِفةِ إلا بِهَذَا النَّفْيِ وذَلِكَ الإثْباتِ، واللهُ وليُّ التَّوفيقِ. اهـ

انتهى المقصودُ من نَقْلِهِ، وتَمامُ الكلامِ في هذا البابِ من ذَلِكَ الكِتابِ،[1] وإليه سُبحانَه المآبُ.

(١) وهو "شفاء العليل" لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الكفر بالملائكة والرسل، والتفريق بينهم

الكفر بالملائكة والرسل، والتفريق بينهم (الحادية والأربعون):

الكفر بِالملائِكَةِ والرُّسلِ والتَّفْريق بَيْنَهُم.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾ [البَقَرَة: ٨٧ - ٩١] **إلى أن قال:** ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [البَقَرَة: ٩٧ - ٩٩].

فَقَدْ تَبَيَّنَ مِنْ هذهِ الآيات أنَّ بَعْضَ الكِتابِيِّينَ كانُوا يَكفُرونَ بِالمَلائِكَةِ والرُّسُلِ، يُفَرِّقونَ بَيْنَهُمْ، أيْ يؤمِنونَ بِبَعْضٍ ويَكفُرونَ بِبَعضٍ، وهم طائفةٌ مِن جاهِلِيَّةِ اليَهودِ. وَلِهَذَا أمَرَنا اللهُ تَعالى بالإيمانِ بهم وَعَدَمِ التَّفْرِقَة بَيْنَهُم، فَقَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ

مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ [البقرة: ٢٨٥]

الغلو في الأنبياء والرسل

الغلو في الأنبياء والرسل (**الثانية والأربعون**) :

الغُلُوُّ في الأنبياءِ والرُّسُلِ عليهم السلام.

قالَ تعالى : ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞ﴾ [النِّسَاء : ١٧١] وَالغُلُوُّ في المخلوقِ أعْظمُ سَبَبٍ لعبادةِ والغلو في المخلوق أعظم سبب لعبادة الأصنامِ والصَّالِحينَ، كَما كانَ في قوم نوح عليه السلام مِن عبادةِ نَسْرٍ وَسُواعٍ وَيَغوثَ ونَحْوِهِم، وكما كان مِنْ عبادةِ النَّصارى لِلمسيحِ عليه السلام ، ومِثْلُ ذلِكَ القولُ على الله بِغيرِ الحَقِّ.

الجدال بغير علم

الجدال بغير علم (الثالثة والأربعون) :

الجِدالُ بِغيرِ العِلم كما تَرى كثيرًا مِن أهلِ الجَهلِ يُجادِلونَ أهلَ العِلْمِ عِندَ نَهْيِهِم عَمَّا أَلِفوه مِنَ البِدَعِ والضلالاتِ. وهي صِفَةٌ جاهِلِيّةٌ نَهانا الله تَعالى عَنِ التَّخَلُّقِ بِها.

قال تَعالى : ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٥ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٦٦﴾ [آل عِمْرَان : ٦٥ - ٦٦].

أخْرَجَ ابنُ إسحاقَ وابنُ جَريرٍ عن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: اجْتَمَعَتْ نَصارى نَجْرانَ وأحبارُ يهودَ عِندَ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَنازَعوا عِنْدَهُ، فَقالَتِ الأحبارُ: ما كانَ إبراهيمُ إلا يَهودِيًّا، وقالتِ النَّصارى: ما كان إبْراهيمُ إلا نَصرانِيًّا، فَأنْزَل الله فيهم هذهِ الآية. المُنادِيَةَ على جَهْلِهم وعِنادِهم، كَما لا يخْفى على مَنْ راجَعَ التفسيرَ.

الكلام في الدين بلا علم

الكلام في الدين بلا علم قال الشيخ: (**الرابعة والأربعون**):

الكَلامُ في الدِّين بِلا عِلْمٍ.

أقولُ: أجْمَلَ الشَّيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ الكَلام في هذهِ المسألة كُلَّ الإجمالِ كَما فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ في كَثيرٍ مِنَ المَسائِلِ، **وما أحَقَّها بِالتفصيلِ**.

وَذَلِكَ أنَّ أهلَ الجاهِلِيةِ مِنَ العَرَبِ وغيرِهِم مِنَ الكِتابِيِّينَ شَرَعوا في الدِّينِ ما لَم يَأذَنْ بِهِ الله، أمَّا العَرَبُ فقد كانَ الكثيرُ مِنهُم على دين إبراهيمَ وإسماعيلَ عليهما السلام إلى أنْ ظَهَرَ فِيهِمُ الخُزاعِيُّ،(١) فَغَيَّرَ وَبَدَّلَ، وابْتَدَعَ بِدَعًا كَثيرةً، وَأغْرى العَرَبَ عَلى عِبادةِ الأصنامِ، وَبَحَرَ البَحيرَةَ، وَحَمى الحامِ، واسْتَقْسَمَ بِالأزلامِ، إلى غيرِ ذَلِكَ مِمَّا فَصلْناه في غيرِ هَذَا الموضِع.

وإنْ شِئْتَ أنْ تَعْرِفَ جَهْلَ العَرَبِ، وما ابْتَدَعوهُ فاقْرأْ سورةَ الأنعامِ فَإنَّ فيها كَثيرًا مِن ضَلالاتِهم ومُبْتَدَعاتِهم.

وأمَّا الجاهِلِيُّونَ مِنَ اليَهودِ والنَّصارى، فَقَدِ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، وَذَلِكَ أنَّ أحبارَهم ورُهبانَهمُ ابْتَدَعوا لَهُم في الدِّينِ بدَعًا، وَحَلَّلوا وَحَرَّموا ما اشْتَهَتْهُ أنْفسُهُم، فَقَبِلوا ذَلِكَ مِنهم وأطاعوهُم عليه، مع أنَّ الدِّينَ إنَّما يَكونُ بِتشريعِ الله ووحْيِهِ إلى أنْبيائِهِ ورُسُلِهِ عليهم السلام، ولا يَكونُ بِآراءِ الرِّجالِ وبِحَسَبِ أهْوائِهِمْ.

---

(١) وهو عمرو بن لحي وكان الحجازيون ربا في امتثال أمره وطاعته والانتهاء عما ينهى عنه.

فَكُلُّ ما لا دَليلَ عَلَيْهِ مِنْ كِتابٍ ولا سُنَّةٍ مَرْدودٌ على صاحِبِهِ.

وَقَدْ ذَمَّ الله تَعالى اليَهود عَلى مِثل ذَلِكَ **فَقَال عَزَّ اسْمُهُ** : ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [آل عِمْرَان : ٧٨].

فَمَنْ أوَّلَ نُصوصَ الكِتابِ والسُّنَّة على حَسَبِ شَهَواتِهِ وبِمُقْتَضى هَواهُ فَهو أيْضًا مِنْ قَبيلِ الذينَ يَلْوونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالكِتابِ.

وَأَنْتَ تَعْلَمُ ما اشْتَمَلَ عَلَيْهِ اليومَ كَثيرٌ مِن كُتُب الشَّريعَةِ مِنَ الآراءِ التي لَيْسَ لَها مُسْتند مِنْ دَلائِلِ الشَّريعَةِ.

فإلى الله المُشْتكى مِنْ صَوْلَةِ الباطِلِ وخُمولِ الحَقِّ.

الكفر باليوم الآخر

الكفر باليوم الآخر (الخامسة والأربعون) :

الكُفر باليومِ الآخِرِ، والتَّكذيبُ بلِقاءِ الله، وبَعْثِ الأرْواحِ، وَبِبَعْضِ ما ذَكَرَتْهُ الرّسلُ مِنْ صِفاتِ الجَنَّةِ والنَّارِ.

قال تعالى : ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ﴾ [الكهف : ١٠٣ - ١٠٥] الآية. وقد مَرَّ الكَلامُ عَلَيها قَريبًا.

وَقَالَ تعالى : ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [النَّحل : ٣٨ - ٣٩].

إِلَى غَيرِ ذَلِكَ مِنَ النُّصوصِ الوارِدَةِ في ذَلِكَ كُلِّهِ.

ولِقومِ عَصْرِنا مِنْ هذا الاعْتِقادِ الجاهِلِيِّ حَظٌّ وافِرٌ، وَنَصيبٌ كامِل، ومَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ.

نَسْأَلُهُ تَعالى التَّوْفِيقَ للهِدايةِ.

التكذيب بآية {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}

التكذيب بآية ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفَاتِحَة : ٤] (**السادسة والأربعون**) :

التَّكذيب **بِقَولِهِ تَعَالى**: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفَاتِحَة : ٤] وَهو اليومُ الذي يَدينُ الله تَعالى العِبادَ فِيْهِ بِأعمالِهم، فَيُثيبُهُمْ عَلَى الخَيْراتِ ويُعاقِبُهُم على المَعاصِي والسَّيئاتِ.

والتكذيبُ بِهذا اليومِ مُتَفَرِّعٌ عَلى إنكارِ البعثِ والحِسابِ والجَنَّةِ والنَّارِ.

التكذيب بآية {لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة}

التكذيب بآية ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ (السابعة والأربعون) :

التَّكذيب **بِقَولِهِ تَعَالى** : ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البَقَرَة : ٢٥٤] **مِنْ قَوْلِهِ سُبحانَه:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ [البَقَرَة : ٢٥٤].

والخُلَّةُ: المَوَدَّة والصداقَةُ.

ومَعْنى {وَلَا شَفَاعَةٌ} : أيْ لا أحَدَ يَشْفَعُ لأحَدٍ إلا مِن بَعْدِ أنْ يَأْذَنَ الرَّحْمنُ لِمَنْ يَشاءُ ويَرْضى. وأرادَ بِذَلِكَ يومَ القيامَة.

والمُرادُ مِن وصْفِهِ بِما ذُكِرَ: الإشارةُ إلى أنه لا قدرةَ لأحَدٍ فيهِ على تَحصيلِ ما ينْتفَعُ بِهِ بِوجْهٍ مِنَ الوُجوهِ، لأنَّ مَن في ذِمَّتِهِ حَقّ مَثَلا إمَّا أنْ يأخُذَ بالبيع ما يُؤَدِّيهِ بِهِ، وإمَّا أنْ يعينَهُ أصدقاؤُه، وإمَّا أنْ يلتجئ إلى مَنْ يَشفعُ لَهُ فِي حَطِّه، والكُلُّ مُنْتَف، ولا مُسْتعان إلا باللهِ عَزَّوَجَلَّ.

الخطأ في معنى الشفاعة

الخطأ في معنى الشفاعة (**الثامنة والأربعون**) :

التَّكذيبُ **بقولِهِ تعالى**: ﴿وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٨٦﴾ [الزُّخرُف : ٨٦] قَولُهُ: ﴿وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾ أي: ولا يملكُ آلِهَتُهُمُ الذين يَدْعونَهم مِن دونِهِ الشَّفاعَةَ، كَما زَعَموا أنَّهُم شُفعاؤُهُم عِندَ الله عَزَّوَجَلَّ.

﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ﴾ الَّذي هو التَّوحيدُ ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٨٦﴾ أيْ: يَعْلَمونَهُ.

والمُرادُ بِهِم: الملائِكَةُ وَعِيسى وعُزَيْرٌ وَأضْرابُهُمْ.

وَأنْتَ تَرَى النَّاسَ اليومَ عاكِفينَ على أصنامٍ لهُمْ يَدْعونَهُمْ مِن دونِ الله، وعُذْرُهُم عِندَ تَوبيخِهِم أنَّ هؤلاءِ شُفَعاؤُهم. تَعَالى الله عَمَّا يُشْرِكون.

قتل أولياء الله

قتل أولياء الله (التاسعة والأربعون) :

قَتْل أولياءِ الله، وقَتْلُ الذينَ يَأمُرونَ بِالقِسْطِ مِنَ النَّاسِ.

قالَ تعالى : ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّ كَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ [البَقَرَة : ٦١].

وقالَ عَزَّوَجَلَّ : ﴿قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾﴾ [آل عِمْرَان : ١٨٣] إلى آياتٍ أخَرَ في هذا المَعْنى صَرَّحَتْ بِما لاقاهُ الأنْبياءُ والرُّسُلُ عليهم السلام، وأتْباعُهُم المُخْلِصونَ ودُعاةُ الحَقِّ،(١) وبِما كابَدوهُ مِن أعداءِ الله والجَهَلَةِ الطُّغاةِ مِمَّا تنهَدُّ لَهُ الصَّياصِي وتَبْيَضُّ مِنْهُ النَّواصِي.

هؤلاءِ أكابِرُ الأمَّةِ المُحَمَّدِيةِ وَعُلَماؤُها الأعلامُ، قد صادَفوا عِندَ دَعوتِهم إلى الحَقِّ والمحافظَةِ عَلَيه ما يَسْوَدُّ منه وجه القِرْطاسِ، وتَشيبُ مِنه لِمَمُ المِدادِ.

والأنبياءُ ـ صلواتُ الله عليهِم ـ وأتباعُهُم المُؤمنونَ، وإنْ كانوا يُبْتَلونَ في أوَّلِ الأمْر، فالعاقبَةُ لَهم، **كما قالَ تعالى** ـ لَمَّا قَصَّ قصةَ نوح عليه السلام ـ : ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ

---

(١) من ذلك أن الشيخ المصنف لاقى من أبناء زمانه كبيرهم وصغيرهم لما دعاهم إلى الله تعالى والتوحيد الذي جاءت به الرسل ما تنهد له الصياصي وتشيب له النواصي كما لا يخفى على من طالع سيرته الطاهرة، تغمده الله برحمته ورضوانه.

لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [هُود : ٤٩].

وفي الحَديثِ المتَّفَقِ على صِحَّتِهِ : لما أرسلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسولا إلى مَلِكِ الرُّومِ، فَطَلَبَ مَنْ يُخْبِرُهُ بسيرتِه، وكانَ المُشرِكونَ أعداءَهُ، لم يَكونوا آمَنوا بِهِ فقالَ: كيفَ الحربُ بَيْنكُم وَبَيْنَهم قالوا: الحَرْبُ بَيْنَنا وَبَيْنَهُ سِجالٌ، يُدالُ علينا المَرَّةَ، ونُدال عَليه الأخْرَى. فقال: كذلك الرُّسُلُ تُبْتَلى، وتكونُ لها العاقِبَةُ.

فإنَّه كان يومُ بدرٍ نَصر الله المُؤمِنينَ، ثُمَّ يَوْم أُحُدٍ ابتُلِي المُؤمِنونَ، ثم لم يُنْصَرِ الكُفَّارُ بَعْدَها، حَتّى أظْهَرَ الله تَعالى الإِسْلامَ.

فإنْ قِيلَ: ففي الأنبياءِ مَن قد قُتِلَ، كما أخْبَرَ الله تعالى في الآيات السَّابقَةِ أنَّ بَني إسرائيلَ يَقْتُلونَ النَّبِيِّينَ بِغيرِ الحَقِّ، وفي أهل الفُجورِ مَن يُؤتيهِ الله مُلكًا وسُلْطانا وَيُسَلِّطُهُ على المُتَدَيِّنينَ كما سَلَّط بُخْتَ نَصَّرَ عَلى بَني إسرائيلَ، وكما سَلَّطَ كفَّار المُشرِكينَ وأهلِ الكتابِ ـ أحيانًا ـ على المُسْلِمينَ.

ـ **قيلَ**: أمَّا مَنْ قُتِلَ مِن الأنبياءِ فهم كمَنْ يُقْتَلُ مِنَ المُؤمِنينَ في الجِهادِ شَهيدا.

قالَ تَعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [آل عِمْرَان : ١٤٦ - ١٤٨].

ومعلومٌ أنَّ مَنْ قُتِلَ مِنَ المُؤمِنينَ شَهيدا في القتالِ، كان حالُه أكملَ من حالِ مَن

يَموتُ حَتْفَ أنفِهِ.

قالَ تعالى : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عِمْرَان : ١٦٩] **ولهذا قال تعالى**: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ [التَّوْبَة : ٥٢] أيْ: إما النصر والظفر، وإما الشهادة والجنة.

ثُمَّ إنَّ الدِّينَ الذي قاتَلَ عليه الشُّهَداء يَنْتَصِرُ وَيَظْهَرُ، فَيكون لِطائفتِه السَّعادةُ في الدُّنْيا والآخرةِ، مَن قُتِلَ مِنهم كان شهيدا، ومَن عاشَ مِنهم كانَ منصورًا سَعيدا، وهذا غايةُ ما يكونُ مِن النصرِ، إذْ كان الموتُ لا بُدَّ منهُ، فالموتُ على الوجهِ الذي تَحصُلُ به سعادةُ الدُّنيا والآخرةِ أكملُ، بِخلافِ من يهلكُ هو وطائفتُه، فلا يفوزُ لا هو ولا هم بمطلوبِهم، لا في الدُّنيا ولا في الآخِرةِ.

والشُّهَداءُ مِنَ المؤمِنين قاتَلوا باختيارِهم، وَفَعَلوا الأسبابَ التي بِها قُتِلوا، كالأمرِ بالمعروفِ والنَّهي عنِ المُنْكَرِ، فَهُمُ اخْتاروا هَذا المَوْتَ، إمَّا أنَّهم قَصَدوا الشَّهادَةَ، وإمَّا أنَّهم قَصَدوا به ما يَصيرونَ شُهَداءَ، عالِمينَ بأنَّ لهُم السَّعادةَ في الآخِرَةِ وفي الدُّنيا بِانتصارِ طائِفَتِهم وبِبَقاءِ لِسانِ الصِّدقِ لهم ثَناءً ودُعاءً، بِخِلافِ مَن هَلَكَ مِن الكُفَّارِ، فإنَّهم هَلَكوا بِغيرِ اختِيارِهِم، هَلاكا لا يرجونَ مَعه سعادةَ الآخِرة، ولم يَحصلْ لَهُمْ ولا لِطائِفَتِهم شَيْءٌ مِن سعادةِ الدُّنيا، بَلْ أُتبعوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ.

وَقيلَ فيهِمْ: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الدُّخَان : ٢٥ - ٢٩].

وقد أخْبَرَ سُبحانَه أنَّ كثيرا مِن الأنبياء قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كثيرٌ، أيْ: أُلوفٌ كثيرةٌ، وأنَّهم ما

ضَعُفوا ولا اسْتكانوا لِذَلِكَ، بلِ اسْتَغْفَروا مِنْ ذُنوبِهم التي كانتْ سببا لظُهورِ العدوِّ، وأنَّ الله تَعالى آتاهُمْ ثَوابَ الدُّنيا وحُسْنَ ثَوابِ الآخِرَةِ، فإذا كان هذا قَتْلَ المُؤمِنينَ، فَما الظَّنُّ بِقتلِ الأنْبياءِ؟ ففيه لهم ولأتباعِهم مِن سَعادةِ الدُّنيا والآخِرَةِ ما هو مِن أعظمِ الفَلاحِ.

وظُهورُ الكُفَّارِ على المُؤمِنينَ ـ أحْيانا ـ هو بِسببِ ذُنوبِ المسلِمينَ، كيَومَ أُحُدٍ، فإنْ تابوا انْتَصَروا على الكُفَّارِ، وكانتِ العاقِبةُ لهم، كما قد جَرَى مِثْلُ هَذَا لِلمُسْلِمينَ في عامَّةِ ملاحِمهم معَ الكفَّارِ.

وَهَذَا من آيات النُّبُوَّةِ وأعْلامِها ودَلائِلِها، فإنَّ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا قاموا بعُهودِهِ ووَصاياهُ، نَصَرَهُمُ الله، وأظْهَرَهُمْ على المُخالِفينَ لَه، فإذا ضَيَّعوا عُهودهُ ظَهَرَ أُولئِكَ عَليهم.

فمَدارُ النَّصرِ والظهورِ مَعَ مُتابَعَةِ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وُجودا وعَدَما مِن غير سَبَبٍ يُزاحم ذلك، ودوران الحُكْمِ مع الوصفِ وجودا وعدما مِن غير مزاحَمَة وصفٍ آخَرَ يوجِب العِلْمَ بأنَّ المَدارَ عِلَّة للدائِرِ.

وقولُنا: (مِن غير وصفٍ آخَرَ): يُزيلُ النُّقوضَ الواردَةَ.

فهذا الاستقراءُ والتَّتبّعُ يُبينُ أنَّ نَصْرَ الله وإظهارَه هو بسببِ اتِّباعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنَّه سُبحانَه يُريدُ إعْلاءَ كَلِمَتِهِ وَنَصْرَه وَنصْرَ أتْباعِهِ عَلى مَن خالَفَه، وأنْ يَجعلَ لهم السَّعادةَ ولِمَن خالَفَهم الشَّقاءَ، وهذا يوجبُ العِلْمَ بنُبوّتِهِ، وأنَّ مَن اتَّبَعَهُ كانَ سَعيدا، ومَن خالَفه كانَ شَقيّا.

ومن هذا ظُهورُ بُخْتَ نَصَّرَ على بَني إسرائيلَ، فإنَّه مِن دلائلِ نبوَّةِ موسى؛ إذ كان ظهور

بخت نصر إنما كان لما غيروا عهود موسى، وتركوا اتباعه، فعوقبوا بِذَلِكَ، وكانوا ـ إذْ كانوا مُتَّبِعينَ لِعُهودِ موسى ـ مَنْصورينَ مُؤَيَّدينَ، كما كانوا في زَمَنِ داودَ وسُلَيْمانَ وغيرِهما.

قَالَ تعالى : ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝٦ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ لِيَسُٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ۝٧ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء : ٤ - ٨].

فَكانَ ظُهورُ بَني إسرائيلَ على عَدُوِّهِم تارةً، وظُهورُ عَدُوِّهِم عَلَيهم تارةً من دَلائِلِ نبوَّةِ موسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآياتِه، وكذلِكَ ظُهورُ أُمَّة محمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على عَدُوِّهم تارةً، وظُهورُ عَدُوِّهِم عليهم تارةً، هو من دلائِلِ رِسالة محمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأَعلامِ نبوته.

وكانَ نَصْرُ الله لِموسى عليه السلام وقومِه على عَدُوِّهِم في حَياتِهِ وبَعْدَ مَوْتِهِ، كما جَرَى لَهُمْ مِنْ يوشعَ وغيرِه من دَلائِلِ نبوَّةِ موسى، وكذلك انتِصار المؤمِنين مَعَ مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياتِه وبَعْدَ مماتِهِ مع خُلفائِهِ مِن أعلامِ نبوته ودَلائِلها.

وهذا بخِلافِ الكُفَّارِ الذين يَنْتَصِرونَ عَلى أهل الكِتابِ أحيانا، فإنَّ أولئكَ لا يكونُ مُطاعُهم إلى نبي، ولا يُقاتلونَ أتْباعَ الأنبياءِ على دِينٍ، ولا يَطلُبونَ مِن أولئكَ أنْ يَتَّبِعوهُم

على دينهم، بَلْ قَدْ يُصَرِّحونَ بأنَّا نُصِرْنا عَلَيكم بِذُنوبِكم، وأنْ لَو اتَّبَعْتُم دِيْنكم لم ننصَرْ عَليكم.

وأيْضا : فلا عاقِبَةَ لهم، بَلِ الله يُهلِكُ الظَّالِمَ بالظَّالِمِ، ثُمَّ يهلِكُ الظَّالِمينَ جميعًا، ولا قَتيلُهم يَطلبُ بِقَتْلِهِ سَعادةً بعدَ الموتِ، ولا يَختارونَ القَتْلَ لِيَسْعَدوا بعد المَوتِ.

فهذا وأمثالُه مِمَّا يُظْهِرُ الفَرْقَ بَينَ انتِصارِ الأنبياءِ وأتْباعِهم، وبَيْنَ ظُهورِ بعض الكفَّارِ على المُؤمِنينَ، أو ظُهورِ بعضِهم على بعض، ويُبَيِّنُ أنَّ ظُهورَ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأُمَّتِهِ على أهلِ الكِتابِ: اليهودِ والنَّصارى، هو من جنسِ ظُهورِهم على المُشرِكينَ: عَبَدَةِ الأوثانِ، وذلك مِن أعلامِ نبوَّتِهِ ودلائلِ رِسالَتِه، لَيس هو كَظُهورِ بُخْتَ نَصَّرَ على بني إسرائيلَ وظُهورِ الكُفَّارِ على المُسْلِمينَ.

وهذه الآية مِمَّا أخْبَرَ بِهِ موسى عليه السلام، وبَيَّنَ أنَّ الكذَّابَ المُدَّعي لِلنُّبُوَّةِ لا يَتِمُّ أمرُهُ، وإنما يَتِمُّ أمرُ الصَّادِقِ.

فإنَّ مِن أهلِ الكِتابِ مَن يَقولُ: مُحَمَّد وأُمَّتُه سُلِّطوا عَلَيْنَا بذُنوبِنا مَعَ صِحَّةِ دِيننا الذي نَحْنُ عَلَيْهِ، كَما سُلِّطَ بُخْتَ نَصَّرَ وغيرُه مِن المُلوكِ.

وهذا قِياس فاسِدٌ، فإنَّ بُخْتَ نَصَّرَ لَم يَدَّع نبوَّة، ولا قاتَلَ على دينٍ، ولا طَلَب مِن بني إسرائيلَ أنْ يَنْتَقِلوا عَن شَريعة موسى عليه السلام إلى شَريعتِهِ، فلم يَكن في ظُهورِهِ إتمام لِما ادَّعاهُ مِن النُّبُوَّةِ وَدَعَا إلَيْهِ مِنَ الدِّينِ، بَل كانَ بِمَنْزِلَة المُحارِبينَ قُطَّاعِ الطَّريقِ إذا ظَهَروا على القَوافِلِ، بِخِلافِ مَنِ ادَّعى نبوَّةً ودِينا، ودَعا إليه، وَوَعَدَ أهلَه بِسعادَةِ الدُّنيا والآخِرةِ، وتَوَعَّدَ مُخالِفيه بِشَقاوةِ الدُّنيا والآخِرَةِ، ثُمَّ نَصَرَه اللهُ، وأظْهَرَهُ، وَأتَمَّ دِينَه، وأعْلى كَلِمَتَه، وَجَعَلَ لَهُ العاقِبَةَ، وَأذَلَّ مُخالِفيه.

فإنَ هذا مِن جِنسِ خَرقِ العاداتِ المقْتَرِنِ بِدَعوى النُّبُوَةِ، فإنَّه دليلٌ عَلَيها.

وقَدْ تَغْرقُ في البَحْرِ أُمَمٌ كثيرة، فلا يَكونُ ذَلِكَ دَليلا على نُبُوَّةِ نَبِيٍّ، بِخِلافِ غَرَقِ فِرْعَوْنَ وَقَومِهِ، فإنَّه كانَ آيةً بَيِّنةً لموسى عليه السلام .

وهذا مُوافِقٌ لِما أخْبَرَ بِهِ موسى عليه السلام مِن أنَّ الكذَّابَ لا يَتِمُّ أمْرُهُ، وذَلِكَ بأنَّ الله حَكيم لَا يَليقُ بِهِ تَأْييدُ الكَذَّابِ على كَذِبِهِ مِن غيْرِ أنْ يُبَيِّنَ كَذِبَهُ.

ولِهذا أعْظَمُ الفتَنِ : فِتنةُ الدَّجَّالِ الكَذَّابِ، لَمَّا اقْتَرَنَ بِدَعْواهُ الألوهِيَّةَ بعضُ الخَوارِقِ، كان مَعَه ما يَدُلُّ على كَذِبِهِ مِن وجوهٍ:

مِنها: دَعْواهُ الألوهِيّةَ، وهو أعْوَرُ، واللهُ ليس بأعْوَرَ، مَكتوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كافرٌ، يَقْرَؤه كلُّ مُؤمِنٍ قارئ وغير قارئ، واللهُ تَعالى لا يَراهُ أَحَدٌ حَتّىَ يموتَ.

وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم هذه العلامات الثلاث في الأحاديث الصحيحة.

فَأمَّا تَأييْدُ الكَذَّاب، ونَصْرُهُ، وإظهارُ دعوتِه دائمًا، فهذا لم يَقَعْ قَطُّ، فَمَن يَستدلُّ على ما يَفْعَلُهُ الرَّبُّ سُبحانَه بالعادةِ والسُّنَّةِ، فهذا هو الواقع على ذلك ـ أيْضا ـ بِالحِكمةِ، فحِكمتُه تُناقِضُ أنْ يفعلَ ذلكَ، إذ الحَكيمُ لا يَفعلُ هذا.

وقد قَال تَعالى: ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفَتْح : ٢٢ - ٢٣].

فَأخْبَرَ أنَّ سُنَّةَ الله التي لا تَبديلَ لَها: نصرُ المُؤمِنينَ على الكافِرينَ.

والإيمانُ المُسْتَلْزِمُ لِذَلِكَ يَتَضَمَّنُ طاعةَ الله ورسولِهِ، فإذا نَقَصَ الإيمانُ بِالمَعاصي كانَ

الأمْرُ بِحَسبِهِ، كَما جَرَى يومَ أُحُدٍ.

وقَالَ تَعَالى : ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [فَاطِر : ٤٢ - ٤٣].

فَأخْبَرَ أن الكفارَ لا يَنْظُرونَ إلا سُنَّةَ الأوَّلين، ولا يوجَد لِسُنَّةِ الله تبديلٌ، لا تُبَدَّلُ بغيرها، ولا تَتَحَوَّلُ، فكيفَ النَّصْرُ لِلكُفَّارِ على المُؤمِنينَ الَّذين يَسْتَحِقُونَ هذا على الأمم؟

وكذلك قال ـ في المنافِقِينَ وهم الكفَّارُ في الباطِنِ دونَ الظَّاهِرِ وَمَنْ فيه شُعبةُ نِفاقٍ ـ : ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ [الأَحْزَاب : ٦٠ - ٦٢].

والسُّنَّةُ هي العادةُ، فهذه عادةُ الله المعلومةُ، فإذا نَصَرَ مَن ادَّعى النُّبوَّةَ وأتْباعَه على مَن خالَفَه، إمَّا ظاهِرا وإمَّا باطِنا نصرا مستقرّا، فإنَّ ذَلِكَ دليلٌ على أنَّه نبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذ كانت سُنَّةُ الله وعادتُه نصرَ المؤمنين بالأنبياء الصَّادقين على الكافرين والمنافقين، كما أنَّ سُنَّتَه تأييدُهم بالآيات البينات، وهذه منها.

ومن ادَّعى النُّبُوَّةَ وَهو كاذب، فَهو مِنْ أكْفَرِ الكُفَّارِ وأظْلَمِ الظَّالِمينَ.

قال تَعَالى : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الأَنْعَام : ٩٣].

وَقَالَ تعالى : ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ﴾ [الزُّمَر : ٣٢].

وَقَالَ تعالى : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ﴾ [العَنكَبُوت : ٦٨].

وَقَالَ تعالى : ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الأَنْعَام : ١٤٤].

ومَنْ كانَ كَذَلِكَ، كانَ الله يمقته، ويُبغضُه، ويُعاقِبُه، ولا يَدومُ أمرهُ، بَلْ هو كما قالَ النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديثِ الصَّحيح عن أبي هريرةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ: «**إنَّ الله يُمْلي لِلظَّالِم، فَإذا أخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ**» ثُمَّ قَرأ : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هُود : ١٠٢]».

وقال ـ أيْضا ـ في الحديث الصحيحِ عن أبي موسى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّه قَالَ: قَالَ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**مَثلُ المُؤْمِنِ كَمَثلِ الخامَةِ مِنَ الزَّرعِ، تفيؤُها الرِّياحُ، تُقيمُها تارة وتُميلُها أخْرى، وَمَثلُ المُنافِقِ كَمَثلَ شَجَرَةِ الأرْزِ، لا تَزالُ ثابتةً عَلى أصلِها، حَتّى يكونَ انْجِعافُها مرَّةً واحدةً**».

فالكاذبُ الفاجِرُ وإنْ عَظُمَتْ دَولتُهُ، فلا بُدَّ من زوالِها بالكُلِّيَّة، وبقاءِ ذَمِّهِ ولِسانِ السَّوْءِ لَه في العالَمِ، وهو يَظْهَرُ سَريعا، ويَزولُ سَريعا، كَدَوْلة الأسودِ العنسيِّ، ومُسَيْلَمَةَ الكذَّابِ، والحارِثِ الدِّمَشقيِّ، وبابِكِ الخُرَّمِيِّ ونحوِهِم.

وأمَّا الأنبياءُ، فإنَّهم يُبْتَلونَ كثيرًا لِيُمَحَّصوا بالبَلاءِ، فإنَّ الله تَعالى يُمَكِّنُ لِلْعَبْدِ إذا

ابْتلاهُ، ويُظْهِرُ أمرَه شَيْئا فشيئا، كالزَّرع.

قال تعالى : ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ (أي فراخَهُ) ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ (أي قوَّاه) ﴿فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح : ٢٩].

ولِهذا كان أولى مَن يَتَّبِعُهُمْ ضُعفاءُ النَّاسِ باعْتِبارِ هذه الأمورِ.

وسُنَّةُ الله في أنبياءِ الله وأوليائِه الصَّادقين وفي أعداء الله والمُتنبِّئين الكذَّابين مِمَّا يوجِبُ الفرقَ بين النَّوعَين، وبَيْنَ دَلائِلِ النَّبِيِّ الصَّادقِ ودَلائِل المُتنبي الكذَّابِ.

وقد ذُكِرَ ابتلاءُ النَّبِيِّ والمؤمِنينَ ثُمَّ كَونُ العاقِبَةِ لهم في غيرِ موضعٍ **كقوله تَعالى**: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنعام : ٣٤].

وقال تعالى : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة : ٢١٤].

قال تعالى : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ

ٱتَّقَوْاْ ۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [يُوسُف : ١٠٩ - ١١١].

والمقصود: أن إيذاءَ القائِمينَ بالحَقِّ، والنَّاصِرينَ له مِن سننِ أهْلِ الجاهِلِيَّةِ، وكَثيرٌ مِن أهلِ عصرِنا على ذلك.

واللهُ المُستَعانُ.

الإيمان بالجبت والطاغوت

الإيمان بالجبت والطاغوت (الخمسون) :

الإيمانُ بِالجِبْتِ والطَّاغوتِ، وتَفْضيلُ المُشرِكينَ على المسلمين.

قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾ [النِّسَاء : ٥١].

هَذِهِ الآية نَزَلَت في حُيَيِّ بنِ أخْطَبَ وَكَعْبِ بنِ الأشرَفِ في جَمعٍ مِن يهودَ، وذلك أنَّهم خَرَجوا إلى مَكَّةَ بَعْدَ وقْعَةِ أُحُدٍ؛ لِيُحالِفوا قُريشا على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَنْقُضوا العَهْدَ الذي بَيْنَهم وبَيْنَ رَسُولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فَنَزَل كعبٌ على أبي سُفيانَ، فَأحْسَنَ مَثواه، وَنَزَلَتِ اليهودُ في دورِ قرَيْشٍ، فقالَ أهلُ مَكَّةَ: أنْتُمْ أهلُ كِتاب، ومحمَّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صاحبُ كِتابٍ، فلا يُؤمَنُ هذا أنْ يكونَ مَكْرًا مِنْكُمْ، فإنْ أرَدْتَ أن نَخْرج معَكَ، فَاسْجُدْ لِهذينِ الصَّنَمَينِ وآمِنْ بِهِما، فَفَعَلَ.

ثُمَّ قَال كعبٌ: يا أهلَ مَكَّةَ! لِيَجِيء مِنكم ثلاثونَ ومِنَّا ثلاثونَ، فنلْزِقْ أكْبادَنا بالكعبةِ، فنعاهِدْ ربَّ البيتِ لَنَجْهَدَنَّ على قِتالِ مُحَمَّدٍ، ففَعَلوا ذلك، فَلَمَّا فَرَغُوا قال أبو سُفيانَ لِكَعبٍ: إنَّك امرؤ تَقْرأُ الكتابَ وتَعْلَمُ، ونحنُ أُمِّيُّون لا نَعلمُ، فَأيُّنا أهْدى طَريقا وأقرَبُ إلى الحَقِّ: أنَحْنُ أمْ مُحمَّد؟ قال كعبٌ: اعرِضوا عليَّ دِينكم، فَقالَ أبو سُفيانَ: نَحنُ ننحَرُ لِلْحَجيجِ الكَوْماءَ، ونَسْقِيهِمُ اللَّبَنَ، ونقري الضَّيفَ، ونَفُكُّ العانِيَ، ونَصِلُ الرَّحِمَ، ونَعْمُرُ بيتَ رَبِّنا، وَنَطوفُ بِهِ، وَنَحْن أهلُ الحَرَمِ، ومحمدٌ فارَقَ دِينَ آبائِهِ، وَقَطَعَ الرَّحِمَ، ودِينُنا القديمُ، ودينُ محمَّدٍ. الحديثُ.

فقال كَعب: أنْتُم واللهِ أهدى سَبيلا مِمَّا عَليْهِ مُحَمَّد، فَأنْزَلَ الله في ذلكَ الآيات.

والجِبْتُ في الأصلِ: اسمُ صَنَمٍ، فاستُعْمِلَ في كُلِّ مَعبود غَير الله.

والطَّاغوتُ: يُطْلَقُ على كُلِّ باطِلٍ مِنْ معبودٍ أو غَيْرِهِ.

ومَعْنى الإيمانِ بِهما: إمَّا التَّصْديقُ بأنهما آلهةٌ، وإشراكُهُما بِالعِبادةِ مَعَ الله تعالى، وإمَّا طاعَتُهُما وموافقَتُهُما على ما هُما عَلَيْهِ مِنَ الباطِلِ، وإمَّا القَدْرُ المُشْتَرَكُ بينَ المَعْنَيَيْنِ كالتَّعْظِيْمِ مَثَلا.

والمُتَبادرُ المَعْنَى الأوَّلُ، أيْ أنهم يُصَدِّقونَ بأُلوهِيَّةِ هذيْنِ الباطِلَيْنِ، وَيُشْركونَهما في العِبادةِ مَعَ الإلهِ الحَقِّ، وَيَسْجُدونَ لَهُما.

لبس الحق بالباطل

لبس الحق بالباطل (الحادية والخمسون) :

لبس الحَقِّ بِالباطِلِ، وَكِتمانُه.

قَالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٧١﴾ [آل عِمْرَان : ٧١].

وفي المُرادِ أقوال:

- **أحَدُها:** أنَّ المُرادَ تحريفُهُم التّوراةَ والإنجيلَ.
- **ثانِيها:** أنَّ المُرادَ إظهارُهُم الإسلامَ، وإبطانُهُم النِّفاقَ.
- **ثالِثُها:** أن المُرادَ الإيمانُ بِموسى وَعِيسى، والكُفرُ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.
- **وَرابعُها:** أنَّ المُرادَ ما يَعْلَمونَه في قُلوبِهِم مِن حَقيقةِ رِسالتِه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وما يُظْهرونَه مِن تكْذَيبِهِ.

الإقرار بالحق للتوصل إلى دفعه

الإقرار بالحق للتوصل إلى دفعه (**الثانية والخمسون**) :

التَّعَصُّبُ لِلْمَذهَبِ، والإقرارُ بالحَقِّ لِلتَّوَصُّلِ إلى دَفْعِهِ.

قال تعالى: ﴿وَقَالت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عِمْرَان : ٧٢ - ٧٤].

قالَ الحسنُ والسُّدِّيُّ: تَواطَأَ اثنا عَشَرَ رَجُلا مِن أحبارِ يَهودِ خَيْبَرَ وقُرى عَرِينٍ، وقال بعضُهُم لِبَعْضٍ: ادْخلوا في دِينِ مُحَمَّدٍ أوَّل النَّهارِ بالِّلسانِ دونَ الاعتقادِ، واكفُروا آخِرَ النَّهارِ، وقولوا: إنا نَظَرْنا في كُتُبِنا، وشاوَرْنا عُلَماءَنا، فَوَجَدْنا مُحَمَّدا ليس بذاكَ، وظَهَرَ لنا كَذِبُهُ، وبُطلانُ دِينه، فإذا فَعَلْتُم ذلك شَكَّ أصحابُه في دِينهم، وقالوَا: إنَّهم أهلُ كِتابٍ، وهُم أعْلَمُ بِهِ، فَيَرْجِعونَ عن دِينهم إلى دينكم.

اتخاذ النبيين أربابا

اتخاذ النبيين أربابا (الثالثة والخمسون) :

تسْمِيتهم اتِّباعِ الإسلامِ شِركًا.

قَالَ تَعَالى : ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۧنَ أَرْبَابًا ۚ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عِمْرَان : ٧٩ - ٨٠].

أخْرَجَ ابنُ إسحاقَ بِسَنَدِهِ: حِينَ اجْتَمَعَتِ الأحْبارُ مِنَ اليهودِ والنَّصارى من أهلِ نَجْرانَ عِنْدَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَدَعاهُم إلى الإسلامِ، قالوا : أتُريد يا محمدُ أنْ نَعْبُدَكَ كَما تَعْبُدُ النَّصارى عِيسى ابنَ مَرْيَمَ؟ فقالَ رَجُلٌ مِن أهلِ نَجْرانَ نَصْرانِيٌّ يُقالُ لَهُ الرَّئيسُ: أوَ ذاكَ تريدُ مِنَّا يا محَمَّدُ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَعاذَ الله أنْ نَعْبُدَ غَيْرَ الله، أوْ نَأمُرَ بِعِبادَةِ غيرِهِ، وما بِذَلِكَ بَعَثَني، وَلا بِذَلِكَ أَمَرَني**». فَأنْزَلَ الله تَعالى هذه الآية.

تحريف الكلم عن مواضعه

تحريف الكلم عن مواضعه (الرابعة والخمسون) :

تحْريفُ الكَلِم عَنْ مواضِعِهِ، وَلَيُّ الألْسِنَةِ بالكِتابِ.

قَالَ تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [آل عِمْرَان : ٧٨].

رُوِيَ أنَّ الآية نَزَلَتْ في اليهودِ والنصارى جَميعا، وَذلِكَ أنَّهم حَرَّفوا التَّوراةَ والإنْجيلَ، وَألْحَقوا بِكِتابِ الله تَعالى ما لَيْسَ مِنْهُ.

واخْتَلَفَ النَّاسُ في أنَّ المحرَّفَ هَلْ كان يُكْتَبُ في التَّوراةِ أمْ لا؟

ـ فَذَهبَ جَمْع إلى أنه لَيْس في التَّوراةِ سِوى كلامِ الله تَعالى، وأنَّ تَحْريفَ اليهودِ لم يَكُنْ إلا تَغْييرا وَقْتَ القِراءَةِ، وتأويلا باطِلا للنُّصوصِ، وأمَّا أنَّهم يَكْتُبون ما يَرومونَ في التَّوراةِ على تَعدُّدِ نُسَخِها فَلا.

واحْتَجُّوا لِذَلِكَ بمَا رُوِيَ أنَّ التَّوراةَ والإنجيلَ كما أنْزَلَهما الله تَعالى لم يُغَيَّرْ منهما حَرْفٌ، وَلَكِنَّهُم يُضِلُّونَ بِالتَّحْريفِ والتَّأويلِ وَكُتُبٍ كانوا يَكْتُبونَها مِن عِندِ أنْفُسِهِم، وَيقولونَ: إنَّ ذَلِكَ مِنْ عِندِ الله، وما هو مِنْ عِندِ الله، فأمَّا كُتُبُ الله تَعالى فإنَّها مَحْفوظَةٌ لا تحوَّل.

وبأنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانَ يَقولُ لِليهودِ إلزامًا لهم: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [آل عِمْرَان : ٩٣] ، وهم يَمْتَنِعونَ عن ذَلِكَ، فَلَو كانَت مُغَيَّرَةً إلى ما

يُوافِقُ مَرامَهُمْ ما امْتنعوا، بَلْ وَمَا كانَ يقولُ لَهُم ذَلِكَ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنَّهُ يَعودُ على مَطلَبِهِ الشَّريفِ بالإبطالِ.

ـ وَذَهَبَ آخَرُونَ إلى أنَّهُم بَدَّلوا، وَكَتموا ذَلِكَ في نَفْسِ كِتابِهم. واحْتَجُّوا على ذلك بكثيرٍ مِنَ الظَّواهِرِ.(١)

ولا يَمْنَعُ مِن ذَلِكَ تَعَدُّدُ النُّسَخِ؛ لاحْتِمالِ التّواطُؤِ، أو فُعِلَ ذَلِكَ فِي البَعْضِ دُونَ البَعْضِ، وكَذَلِكَ لا يَمْنَعُ مِنْه قَولُ الرَّسولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُمْ ذَلِكَ؛ لاحْتِمالِ عِلْمِهِ بِبقاءِ بَعضِ ما يَفي بغرَضِهِ سالِما عَنِ التَّغْيِيرِ، إمَّا لِجَهلِهِم بوجْهِ دِلالَتِهِ، أو لِصَرْفِ الله تَعالى إياهُم عن تغْييرِهِ.

وتَمامُ الكَلامِ في "**تفسيرِ الجَدِّ**" عندَ الكلام على هَذه الآية، وكذا في "**الجَواب الصَّحيح**" لشَيخِ الإسلامِ.

وكثيرٌ مِنَ الأمَّةِ المحمَّدِيّة سَلَكوا مَسْلَكَ الكِتابِيِّينَ في التَّحريفِ، والتّأويلِ، واتِّباعِ شَهَواتِهِم.

وقَالَ تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾﴾ [النِّسَاء : ٤٦] والكلامُ عَلَى هَذه الآية ـ أيضا ـ مستوفى في التفسيرِ.

---

(١) ومنها أن السفر المنسوب إلى موسى نفسه مذكور فيه خبر وفاة موسى مكتوبا من بعده، فكيف يوحى إليه أو يصدر عنه ما كتب بعده؟ : محب الدين الخطيب.

تلقيب أهل الهدى بألقاب غريبة

تلقيب أهل الهدى بألقاب غريبة (الخامسة والخمسون) :

تَلْقيبُ أهلِ الهدى بالصَّابئةِ والحَشويَّةِ.

فَقَدْ كانَ أهلُ الجاهلية يُلَقِّبونَ مَن خَرَجَ عن دينهم بالصَّابىء، كما كانوا يُسَمُّون رَسُولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ، كما وَرَدَ فِي عِدَّةِ أحاديثَ مِن صحيح البخاري ومسلم وغيرهما تنفيرا للناسِ عنِ اتِّباعِ غيرِ سبيلِهم.

وهَكذا تَجِدُ كَثيرا مِن هذِهِ الأمَّةِ يُطْلِقونَ على مَن خالَفَهُمْ فِي بِدَعِهِم وَأهْوائِهِم أسْماءً مكروهةً للناسِ.

والصابئةُ : أمة قديمةٌ على مذاهِبَ مختلفَةٍ، قَدْ تكَلَّمَ عَلَيْهَا أهلُ المَقالاتِ بِما لا مَزيدَ عَلَيْهِ.

وَأمَّا الحَشويَّةُ : فَهُمْ قَومٌ كانوا يَقولونَ بِجَوازِ وُرودِ ما لا مَعْنى لَهُ فِي الكِتابِ والسُّنَّةِ؛ كالحُروفِ فِي أوائِلِ السُّوَرِ، وَكذا قَالَ بَعْضُهُمْ.

وهُمُ الذينَ قالَ فيهمُ الحَسَنُ البَصْرِيُّ لَمَّا وَجَدَ قَوْلَهُمْ ساقِطا، وَكانوا يَجْلِسونَ في حَلْقَتِهِ أمامَهُ: رُدُّوا هَؤلاءِ إلى حَشا الحَلْقَةِ، أيْ: جانِبَها.

وخُصومُ السَلَفِيِّينَ يَرْمونَهُمْ بِهَذَا الاسْمِ؛ تنفيرا للنَّاس عَن اتِّباعِهِمْ والأخْذِ بِأقوالِهِمْ، حَيْثُ يَقولونَ في المُتَشابِهِ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عِمْرَان : ٧] وَقَدْ أخْطَأت أسْتُهُمُ الحُفْرَةَ، فَالسَّلَفُ لا يَقولونَ بِوُرودِ ما لا مَعْنى لَهُ لا في الكِتابِ ولا في السُّنَّةِ، بَلْ يَقولونَ في الاسْتِواءِ مَثَلا: الاسْتِواءُ غَيْرُ مَجْهولٍ، والكَيْفُ غَيْرُ مَعْقولٍ،

والإقْرارُ بِهِ إيْمانٌ، والجُحودُ بِهِ كُفْرٌ.

وَقَدْ أطالَ الكَلامَ في هذه المَسْألَة شَيْخُ الإسلامِ ابنُ تَيْميَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي كَثيرٍ مِنْ كُتُبِه، وَلَخَّصَ ذَلِكَ فِي كِتابِهِ "جَوابُ أهْلِ الإيمانِ" في التفاضُلِ بَيْنَ آياتِ القُرْآنِ.(١)

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ مَذْهَبِ السَّلفِ وَمَذْهَبِ الحَشوِيَّة :

ـ بأنَّ مَذْهَبَ الحَشْوِيَّةِ وُرودُ ما يَتَعَذَّرُ التّوصُّلُ إلى مَعْناهُ المُرادُ مُطْلَقًا، فالاسْتِواءُ ـ مَثلا ـ عِنْدَهُمْ لَهُ مَعْنًى يَتَوصَّلُ إلَيْهِ بِمُجَرَّدِ سَماعِهِ كُلُّ مَنْ يَعْرِفُ المَوْضوعاتِ اللُّغَوِيَّةَ، إلا أنَّهُ غَيْرُ مُرادٍ؛ لأنه خِلافُ ما يَقْتَضيهِ دَليلُ العَقْلِ والنَّقْلِ، ومَعْنًى آخَرُ يَليقُ بِهِ تَعالى لا يَعْلَمه إلا هو عَزَّوَجَلَّ.

وكَيْفَ يَكونُ مَذْهَبُ السَّلَفِ هو مَذْهَب الحَشْوِيَّة.

ـ وَقَدْ رَأى الحَسَنُ البَصريّ الَّذي هو مِنْ أكابِرِ السَّلَفِ سُقوطَ قَوْلِ الحَشْوِيَّة، وَلَمْ يَرْضَ أنْ يَقْعُدَ قائلُهُ تُجاهَهُ؟!

والمَقْصودُ: أنَّ أهْلَ الباطِلِ مِنْ المُبْتَدِعَة رَموا أهْلَ السنَّةِ والحَديثِ بِمِثل هَذا اللَّقَبِ الخَبيثِ.

قال أبو مُحَمَّدٍ عبدُ اللهِ بنُ قُتَيْبَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "تأويلِ مُخْتَلِفِ الأحاديثِ": إنَّ أصْحابَ البدَعِ سَمَّوا أهْلَ الحَديثِ بِالحَشوِيّة، والنَّابِتة، والمُتَجبِّرَة، والجبرية، وسَمَّوهُم الغثاءَ، وهذه كُلُّها أنباز لم يأتِ بِها خَبَرٌ عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما أتى :

---

(١) وقد أعاد طبعه ناشر هذا الكتاب في المطبعة السلفية بعناية وتدقيق.

في القَدَرِيَّة أنّهُمْ «مَجوسُ هَذِهِ الأمَّةِ، فإنْ مَرِضوا فَلا تَعودوهُمْ، وإنْ ماتوا فَلا تَشْهَدوا جَنائزَهُمْ».

وفي الرَّافِضَةِ: «يَكونُ قَوْمٌ فِي آخِرِ الزَّمانِ يُسَمَّوْنَ الرَّافِضة، يَرْفُضونَ الإسلامَ وَيَلْفُظونَهُ، فاقتلوهم، فإنهم مشركون».

وفي المرجئة: «صِنْفانِ مِنْ أُمَّتي لا تَنالُهُم شَفاعتي، لُعِنوا على لِسانِ سَبْعينَ نَبِيًّا: المُرْجِئَةُ والقَدَرِيّة».

وفي الخوارج: «يَمْرُقونَ مِنَ الإسلامِ كَما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيّةِ» ، و «كِلابُ أهْلِ النّارِ» .

هذه أسماء مِنْ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتِلْكَ أسْماءٌ مَصنوعَةٌ.اهـ

وفي "**الغُنْيَةِ**"[١] : أنَّ الباطِنِيَّةَ تُسَمِّي أهلَ الحديثِ حَشْوِية لِقولهم بالأخبارِ وتَعَلُّقهم بِالآثار.اهـ

وفِي كِتابِ "**حُجَّة الله البالِغة**"[٢]: واسْتطالَ هؤلاءِ الخائِضونَ عَلى مَعْشَرِ أهْلِ الحديثِ، وسَمَّوْهُمْ مُجَسِّمَةً، ومُشَبِّهَةً، وقالوا: هُمُ المُتَسَتِّرونَ بِالبَلْكَفَة،[٣] وَقَدْ وَضَحَ لَدَيَّ وُضوحًا بَيِّنًا أنَّ اسْتِطالَتَهُمْ هَذِهِ ليستْ بِشَيْءٍ، وأنَّهم مُخْطِئونَ في مَقالتِهِم رِواية وَدِرايةً، وخاطِئونَ في طَعْنِهِمْ أئمَّةَ الهُدى.اهـ

---

(١) للشيخ عبد القادر الجيلاني.

(٢) لشاه ولي الله الدهلوي.

(٣) من كلمة (بلا كيف).

وَقَدْ قَالَ العَلاَّمَةُ ابنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "كافِيَتِهِ الشَّافِيَةِ":

فَـــصْـــل : في تَلْقيبِهِم أهلَ السُّنَّةِ بِالحَشْوِيّة، وبيان مَنْ أوْلى بِالوصفِ المَذمومِ في هذا اللَّقَبِ مِنَ الطَّائفتَيْنِ، وَذِكْرِ أوَّلِ مَنْ لقب بِهِ أهْلَ السُّنَّةِ مِنْ أهْلِ البِدَعِ:

وَمِنَ العَجائِبِ قَوْلُهُمْ لِمَنِ اقْتَدى ❁❁❁ بالوَحْيِ مـــنْ أثَرٍ وَمِـــنْ قُرْآنِ

حَشْوِيَّة يَعْنونَ حَشْوا فـي الوُجو ❁❁❁ د وفَـــضْلَةً فـــي أمَّـــةِ الإنْسانِ

وَيَظُنُّ جاهِلُهمْ بِأنَّهُمُ حَـــشوا ❁❁❁ رَبّ الـــعِبادِ بـداخلِ الأكْوانِ

إذْ قَوْلُهُمْ فَوْقَ العِبادِ وَفـي السَّما ❁❁❁ ء الرَّبُّ ذُو الـــمَلَكوتِ والسُّلْطانِ

ظَنَّ الحَمِيْرُ بأنَّ "فِي" لِلظَّرفِ والـ ❁❁❁ رحـــمنُ مَحْوِيّ بِظَرْفِ مَكانِ

وَاللهِ لمْ يُسْمَعْ بذَا مـــن فرْقَةٍ ❁❁❁ قَـــالَتْهُ في زَمَنٍ مِنَ الأزْمانِ

لا تَبْهَتوا أهْلَ الحديثِ بِهِ فَـــما ❁❁❁ ذَا قَـــوْلهم تَبًّا لِذي البُهْتانِ

بَلْ قَوْلُهُم: إنَّ السَّماواتِ العُـــلا ❁❁❁ فـــي كَفِّ خالقِ هَذِهِ الأكْوانِ

حَقّا كَخَرْدَلَةٍ تُرى في كَـــفِّ ❁❁❁ مـــمسِكِها تَعالى اللهُ ذُو السُّلْطانِ

أتَرَوْنَهُ المَحْصورَ بَعْدُ أم الـسّما؟ ❁❁❁ يـــا قَوْمَنا ارْتَدِعوا عَنِ العُدْوانِ

كَمْ ذَا مُشَبِّهَة وَذا حَـــشْوِيَّة ❁❁❁ صـــرف بلا جحد ولا كتمانِ

تدْرونَ مَنْ سَمَّتْ شُيوخكـــمُ ❁❁❁ بِـــهذا الاسم في الماضي مِنَ الأزْمانِ

سمى بِهِ عمرو لعَبـــــد اللهِ[١] ذا ❁❁❁ ك ابـــن الخَليفةِ طارِدِ الشيطانِ

فوَرِثتم عَمروا كما وَرِثوا لِعَبد الله ❁❁❁ أنَّـــــــــى يسْتوي الإرثانِ

تَدْرونَ مَنْ أَولى بِهَذَا الاســـــمِ ❁❁❁ وَهـــــو مُناسِبٌ أحواله بِوِزانِ

مَنْ قَدْ حَشا الأوراقَ والأذْهانَ مِنْ ❁❁❁ بِـــــدَعٍ تُخالِفُ مقتضى القرآن

هَذَا هو الحشوِيُّ لا أهلُ الحَديثِ ❁❁❁ أئمـــــــــةُ الإسْلامِ والإيْمانِ

ورَدوا عذَاب مَناهل السّنَنِ التـــي ❁❁❁ لَيْسَتْ زبـــــــالَةُ هَذِهِ الأذهانِ

ووَرَدتُمُ القَلُّوطَ[٢] مَجْرى كُلِّ ذِي الـ ❁❁❁ أوســـــــاخ والأقذارِ والأنْتانِ

وَكسلْتم أنْ تَصْعدوا لِلورْدِ مـــن ❁❁❁ أثـــــر الشرائع خَيْبَةَ الكَسلانِ

وحاصِلُ هَذِهِ الأبياتِ : أنَّ أعْداءَ الحَقِّ وخُصومَ السُّنَّةِ وأضْدادَ الكِتابِ والسنَّةِ يُلقِّبونَ سَلَفَ الأمَّةِ المُتَمَسِّكينَ بِالكِتابِ والسُّنَّةِ بلَقَبِ (الحَشْوِيَّةِ).

فالخَواصُّ مِنْهُم يَقْصِدونَ بهَذَا الاسْمِ أن المَسَمَّى بِهِ حَشْوٌ في الوُجودِ وفَضلَةٌ في النَّاسِ، لا يُعْبأ بِهِمْ، ولا يُقامُ لَهُمْ وَزْنٌ؛ إذ لَمْ يَتَّبِعوا آراءَهُمُ الكاسِدَةَ، وأفكارَهُمُ الفاسِدَةَ.

وأمَّا العَوامُّ مِنْهمْ فَيَظُنّونَ أنَّ تَسْمِيَةَ السَّلفِ بِالحَشْوِيّة لِقَوْلهمْ بِالفَوْقِيةِ، وَكَوْن الإلهِ في

---

(١) عمرو هو ابن عبيد رأس المعتزلة، وعبد الله هو ابن أمير المؤمنين عمر. انظر(المنتقى من منهاج الاعتدال) طبع السلفية ص ٦٣.

(٢) القلوط وتسمية العامة قليط: مجرى ماء في دمشق؛ تنحدر إليه مياه المطابخ والحمامات والمراحيض.

السَّماءِ، بِمَعْنى أَنَهُمُ اعْتَقَدوا ـ وحاشاهُم ـ أن الله تَعالى حَشْوُ هَذَا الوُجودِ، وأنه داخِلَ الكوْنِ تَعالى الله عَمَّا يَقولُ الظَّالِمونَ عُلُوّا كَبيرا.

وهذا بُهْتانٌ عَظِيمٌ عَلى أهْلِ الحَدِيْثِ.

عَلى أنَّ هذا القولَ لَم يَقُلْ بِهِ أَحَد.

وأعداءُ الحَقِّ في عَصْرِنا هَذَا عَلَى هذا المَسْلَكِ الجاهِلِيِّ، فَتَراهُمْ يَرْمونَ كُلَّ مَنْ تَمَسَّكَ بِالكِتابِ والسنةِ بِكُلِّ لَقَبٍ مَذْمومٍ بَيْنَ المُسْلِمينِ.

واللهُ المُسْتَعانُ عَلَى ما تَصِفونَ.

التكذيب بالحق

التكذيب بالحق (السادسة والخمسون) :

افْتِراء الكَذِبِ عَلى الله، والتَّكذيبُ بِالحَقِّ.

وَشواهِدُ هَذه المَسألة مِنَ الكتابِ والسُّنَّةِ كثيرٌ، وهذا دَأْبُ المُخالِفينَ لِلدِّين المُبينِ، كاليهودِ والنَّصارى، يَدَّعونَ أنَّ ما هُمْ عَلَيْهِ هو الحَقُّ، وأنَّ الله أَمَرَهُم بِالتَّمَسُّكِ بِهِ، وأَنَّ الدِّينَ المُبينَ ليس بِحَقٍّ، وأنَّ الله تَعالى أَمَرَهُم بِتكْذيبِهِ، كُلُّ ذَلِكَ لاتِّبَاعِ أَسْلافِهِم، لا يَنْظُرونَ إلى الدَّليلِ، وهكذا أهلُ البدَعِ والضَّلالاتِ يَعْتَقدونَ بدَعَهُم الحَقَّ، وأنَّ الله أمَرَهُم بِها، وأنَّ ما عَلَيْه أهلُ الحَقّ مُفْتَرىً، لا يُصَدِّقونَ بِهِ.

وكُلٌّ يَدَّعي وَصـــــلا للَيْلى ❁❁❁ وَلَيْلى لا تُقِرُّ لَـــــــــــــهُمْ بِذاكا

الافتراء على المؤمنين

الافتراء على المؤمنين (السابعة والخمسون) :

رمْيُ المُؤمِنينَ بِطَلَبِ العلوِّ في الأرض.

قَالَ تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ٧٨﴾ [يُونُس : ٧٨] هذا الكلامُ مَسوقٌ لبَيانِ أنَّ موسى عليه السلام أَلْقَمَهُمُ الحَجَرَ، فانْقَطَعوا عن الإتيانِ بِكلامٍ لَهُ تَعَلُّقٌ بكلامِهِ عليه السلام فَضلا عَن الجَوابِ الصَّحيح، واضْطُرُّوا إلى التَّشَبُّثِ بِذَيْلِ التقليدِ الذي هو دَأْبُ كُلِّ عاجِزٍ محْجوج، وَدَيْدَنُ كلِّ معالج لَجوجٍ.

على أنَّه اسْتِئْناف وَقَعَ جَوابا عَمَّا قَبْلَه مِن كلامه عليه السلام على طَريقَةِ: قال موسى، كأنه قِيلَ: فَماذا قالوا لِموسى عليه السلام حِينَ قَالَ لَهُم ما قال؟ فقِيلَ: قالوا عاجِزينَ عن المُحاجَّةِ: ﴿أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [يُونُس : ٧٨] أيْ: المُلكُ. كَما رُوِيَ عَنْ مجاهِدٍ، وَعَنِ الزَّجَّاجِ أنَّه سُمِّيَ المُلْكُ كِبْرِياءَ، لأنَّه أكبرُ ما يُطلَبُ مِن أمرِ الدّنيا.

فَكُلُّ مَن دعا إلى الحَقِّ رَماه مَن كان على المَسْلَكِ الجاهلِيِّ أنَّ قَصْدَه مِنَ الدَّعْوةِ طَلَبُ الرِّئاسَةِ والجاهِ، مِن غَيرِ أنْ يَنْظُروا إلى ما دَعا إليه، ومَا قَامَ عَلَيْهِ مِنَ البَراهِينِ.

رمي المؤمنين بالفساد في الأرض

رمي المؤمنين بالفساد في الأرض (الثامنة والخمسون) :

رمْيُ المؤمِنينَ بالفسادِ في الأرضِ.

شاهِدُ هَذِهِ المَسْأَلة آياتٌ كَثيْرة، حاصِلُها أنَّ المخالِفينَ لَهُمْ مِنَ المؤمِنين مُفْسِدونَ فِي الأرضِ.

انظُرْ إلى قَولِهِم في أَوائِلِ سورةِ البَقَرَةِ كَيْفَ ادَّعوا أنَّهُم هُم مُصْلِحونَ، وقد رَدَّ الله عليهم بقوله: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ١٢﴾ [البَقَرَة : ١٢].

وَهَكَذا من هو على شاكِلَةِ أولَئكَ، مِنَ الذينَ اسْتَحَلُّوا غَيَّهُمْ وتَمَكَّنَتْ بِدَعُهُمْ مِنْ قُلوبِهِمْ:

ومَنْ يَكُ ذا فَمٍ مُرٍّ مَـــــريضٍ ❁❁❁ يـــــَجِدْ مُرًّا بِهِ الماءَ الزُّلالا

نسأله تعالى أَنْ يُثبتَ قُلوبنَا عَلى دينِهِ القَويمِ، وأقدامَنا على الصِّراطِ المُستقيم.

رمي المؤمنين بتبديل الدين

رمي المؤمنين بتبديل الدين (**التاسعة والخمسون**) :

رمي المؤمنينَ بِتَبْديلِ الدِّين.

قال تعالى : ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ٢٦﴾ [غَافِر : ٢٦] اعتقدوا أنَّ ما هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الضَّلالِ هو الدِّينُ الحقُّ، وَمَنْ أراد تَحْويلَهُمْ عَنِ اعْتِقادِهِمُ الكاسِدِ، وصَرْفَهُمْ عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الغَيِّ، فَقَدْ أرادَ إخراجهُم من الدِّينِ، وإفسادًا في الأرْضِ. وَهَكذَا دَيْدَنُ أَعْدَاءِ الحَقِّ في كُلِّ عَصْرٍ.

اتهام أهل الحق بالفساد في الأرض

اتهام أهل الحق بالفساد في الأرض (**الستون**) :

كَونهُمْ إذا غُلِبوا بِالحجَّةِ، فَزِعوا إلى السَّيفِ والشَّكْوى إلى المُلوكِ، وَدَعْوى احْتِقارِ السّلْطانِ، وَتَحْويلِ الرَّعِيَّةِ عَنْ دِيْنِهِ.

قال تَعالى: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأَعْرَاف : ١٢٧].

فانظُرْ إلى شَكْوى آلِ فِرْعونَ وَقَومِهِ إِلَيْهِ، وَتَحْريشِهِمْ إيَّاهُ عَلَى مُقاتَلَةِ موسى عليه السلام وَتَهْييجِه، وَمَا ذُكِرَ في آخِرِ الآية مِن احْتِقارِ ما كانوا عَلَيْهِ.

تناقض مذهبهم لما تركوا الحق

تناقضُ مذهبهمْ لمَّا تركوا الحق (الحادية والستون) :

تناقضُ مَذهَبِهِمْ لَمَّا تَرَكوا الحق.

قال تعالى : ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ۝٤ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥﴾ [ق : ٤ - ٥].

فَقولُهُ: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ [ق : ٥] إلخ، إضراب أُتْبِعَ الإضرابَ الأوَّل للدِّلالة على أنَّهم جاءوا بِما هو أفْظَع من تَعَجُّبِهِمْ، وهو التكذيبُ بالحَقِّ، الذي هو النُّبُوَّةُ الثَّابتة بالمُعْجِزاتِ، في أوَّل وَهْلَةٍ، مِن غير تَفَكُّرٍ ولا تَدَبُّرٍ.

﴿فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥﴾ مُضْطَرِب، وَذَلِكَ بسببِ نَفْيِهِمُ النُّبُوَّةَ عنِ البَشَرِ بالكُلِّيَّة تارةً، وَزَعمِهِمْ أنَّ اللاَّئقَ بِها أهلُ الجاه والمالِ كما ينبئ عَنْهُ قَولُهُم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ۝٣١﴾ [الزُّخرُف : ٣١] تارةً أُخرى، وَزَعْمِهِمْ أنَّ النُّبُوَّةَ سِحْرٌ مرَّةً أُخرى، وأنَّها كهانَةٌ أخرى، حيثُ قالوا في النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّةً: ساحر، ومَرَّةً: كاهِنٌ، أوْ هو اخْتِلافُ حالِهم ما بَيْنَ تَعَجُّبٍ مِنَ البَعْثِ واستبعادٍ لَهُ، وتكذيبٍ وَتَرَدُّدٍ فيه، أو قولُهم في القرآن: هو شِعْر تارةً، وَهُو سِحْرٌ أخرى.

وقال تعالى : ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝١١﴾ [الذَّارِيَات : ٧ - ١١].

الْحُبُكِ: جمع حَبيكَة، كَطَرِيقَةٍ، أوْ حِباك، كَمِثال وَمثل، والمرادُ بها إمَّا الطُّرُقُ المحسوسةُ التي تَسيرُ فيها الكَواكبُ، أو المعقولةُ التي تُدْرَكُ بالبَصيرةِ، وهي ما يدلُّ

على وَحْدَةِ الصَّانعِ وقُدْرتِهِ وعِلْمِهِ وحِكمتِهِ إذا تأمَّلَها النَّاظرُ.

وقوله: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨﴾ أي: مُتَخالِفٍ، مُتَناقِضٍ في أمرِ الله عَزَّوَجَلَّ، حيث تقولون: إنَّه جلَّ شأنُهُ خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ، وَتَقولونَ بصحَّةِ عبادةِ الأصنامِ مَعَهُ سُبحانَه، وفي أمْرِ الرَّسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَتَقولونَ تارةً: إنَّه مَجْنونٌ، وأُخْرى: إنه ساحر، ولا يَكونُ الساحِرُ إلا عاقلا، وفي أمْرِ الحَشْرِ، فَتَقولونَ تارةً: لا حشر ولا حياة بَعْد المَوتِ أصلا، وتَزْعمونَ أُخرى أنَّ أصنامَكم شُفعاؤُكم عِندَ الله تَعالى يومَ القيامةِ، إلى غير ذلك من الأقوالِ المتخالفةِ فيما كُلفوا بالإيمانِ به.

وقولُهُ: ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩﴾ أيْ: يُصْرَفُ عَنِ الإيمانِ بِما كلِّفوا الإيمانَ به.

﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ۝١٠﴾ أيْ: الكذَّابونَ مِنْ أصحابِ القولِ المُخْتَلِفِ.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝١١﴾ **الغَمرةُ:** الجَهلُ العظيمُ يَغْمرُهُم وَيَشْمَلهُم شمولَ الماءِ الغامرِ لِما فِيْهِ، والسَّهو: الغَفْلَةُ.

وقال تَعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ۝١٥٩﴾ [الأنعام: ١٥٩] هذه الآية استئنافٌ لبيانِ أحوالِ أهلِ الكتابَيْنِ إثْرَ بيانِ حال المشركين، بناءً على ما رُوِيَ **عن ابنِ عبَّاسٍ وقتادةَ:** أنَّ الآية نَزَلَت في اليهودِ والنَّصارى. أيْ: بَدَّدوا دِينَهم، وبعَّضوه، فتمسَّكَ بِكُلِّ بعضٍ منه فرقةٌ منهم.

﴿وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ أيْ: فِرَقا تُشايعُ كُلُّ فِرْقَة إماما، وَتَتْبَعُهُ، أيْ: تُقَوِّيهِ، وَتُظْهِرُ أمْرَهُ.

أخرجَ أبو داودَ والتِّرْمِذِيُّ عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال، قَالَ رَسُولُ الله

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «افْتَرَقَتِ اليهودُ على إحْدى وسَبْعينَ فِرْقَةً، كُلّهم في الهاوِيَةِ إلا واحدةً، وافْتَرَقَتِ النصَّارى على ثِنتيْنِ وسَبْعينَ فِرْقَةً، كُلُّهُم في الهاويةِ إلا واحدةً، وَسَتَفْتَرِقُ أمَّتي على ثَلاثٍ وَسَبْعينَ فِرْقةً، كُلُّهُم في الهاوِيَةِ إلا واحدةً».

واستثناءُ الواحدةِ مِن فِرَقِ كُلٍّ مِن أهلِ الكِتابَيْنِ إنَّما هو بالنَّظَرِ إلى العَصْرِ الماضي قَبْلَ النَّسْخِ، وأمَّا بَعْدَهُ؛ فالكُل في الهاوِيَة، وإن اختَلَفَتْ أسبابُ دُخولهم.

﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ أيْ: مِنَ السُّؤالِ عَنهم، والبَحثِ عَن تفَرُّقِهِمْ، أو من عِقابِهِمْ، أَو أَنتَ بَريء مِنْهم.

﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ تَعْليلٌ للنَّفي المذكورِ، أيْ: هو يَتولَّى وَحْدَهُ أمرَهم: أُولاهُمْ وأُخْراهُمْ، وَيُدَبِّرُهُ حَسْبَما تَقْتَضيهِ الحِكْمَةُ.

ومِنَ النَّاسِ مَنْ قَال: المُفَرِّقونَ: أَهْلُ البِدَعِ مِنْ هذه الأمَّة:

فقد أخرج الحَكيمُ الترمِذِيُّ وابنُ جَريرٍ والطَّبَرانيُّ وغيرُهم عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله سُبْحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ﴾ [الأنعام: ١٥٩] إلخ: «هُمْ أَهْلُ البِدَعِ والأَهْواءِ مِن هذِهِ الأمَّة» فَيكونُ الكلامُ ـ حِيْنَئِذٍ ـ استِئْنافا لِبَيان حال المُبْتَدِعينَ، إثْرَ بَيانِ حالِ المُشْرِكينَ، إشارةً إلى أنّهم ليسوا مِنْهم بِبَعيدٍ.

والمَقصودُ: أنَّ أهلَ الجاهلية سواء كانوا أُمِّيِّينَ أوْ كِتابِيِّينَ قد فَرَّقوا دينَهم، وتَغايَروا في الاعتقادِ، فكانَ عُبَّادُ الأصنامِ كُلُّ قَومٍ لَهُم صَنَمٌ يَدينونَ لَهُ، وَلَهُمْ شرائعُ مُختَلِفَةٌ في عِبادتِها، وَمِنهم مَنْ كان يَعْبُدُ كَوْكَبا، ومِنهم مَنْ كانَ يَعْبُدُ الشمسَ، ومنهم، ومِنهم، وكذَلِكَ الكِتابِيُّونَ على ما بَينا.

فالافْتِراقُ ناشئ عن الجَهْلِ، وإلا فالشَّريعةُ الحَقَّةُ في كُلِّ زمان لا تَعَدُّدَ فيها ولا اختِلافَ، ولذلك تَرى القُرآنَ يُوَحِّدُ الحَقَّ وَيُعَدِّدُ الباطِلَ:

قال تَعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٧].

فانظُرْ كَيفَ أفْرَدَ النُّورَ الَّذي هو الحَقُّ، وَجَمَعَ الظلُماتِ التي هِيَ الباطِلُ والزَّيغُ، فَتَفْرِقَةُ الآراءِ، والاخْتِلافُ في الاعتقادِ مِنْ خِصال الجاهِلِيَّةِ وما كان عَلَيهِ أهلُ الباطِلِ، والاتفاقُ على العَقيدةِ الحَقَّةِ هو مِنْ دَأبِ أتْباعِ الرُّسُلِ والمتَمَسِّكينَ بِما شَرَعَهُ الله تَعالى.

دعواهم العمل بالحق الذي عندهم

دعْوَاهُم العَمَلَ بِالْحَقِّ الَّذي عِنْدهمْ (**الثانية والستون**) :

دعْوَاهُم العَمَلَ بِالْحَقِّ الَّذي عِنْدهمْ.

كَما قَالَ تَعَالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾ [البَقَرَة : ٩١] أي: نستمر على الإيمان بالتوراة وما في حكمها مما أنزل لتقرير حكمها، ومُرادُهُم بِضَميرِ المُتكَلِّمِ إمَّا أنبياءُ بني إسرائيلَ ـ وهو الظَّاهر، وفيه إيماء إلى أنَّ عَدَمَ إيمانِهم بالقرآنِ كان بَغْيا وَحَسَدا على نُزولِهِ على مَنْ ليس منهم ـ وإمَّا أنْفُسُهُمْ.

ومعنى الإنزال عليهم: تكليفُهُم بِما في المُنَزَّلِ مِنَ الأحكامِ، وَذُمُّوا على هذِهِ المَقالةِ لِما فيها مِنَ الشرعي بشأنِ القرآنِ، ودسائسُ اليهودِ مشهورةٌ.

وتمامُ الكَلامِ في التفسيرِ.

الزيادة في العبادة

الزِّيادةُ فِي العِبادةِ (**الثالثة والستون**) :

الزِّيادةُ في العِبادةِ، كَفِعْلِهِمْ يَوْمَ عاشوراء.

النقص من العبادة

النقص من العبادة (الرابعة والستون) :

النَّقْص مِنْها، كَتَرْكِهِمْ الوُقوفَ.

قال تعالى : ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ [البَقَرَة : ١٩٩] أيْ: مِن عَرَفَةَ، لا مِنْ مُزْدَلِفَةَ. والخطابُ عامٌّ، والمقصودُ إبطال ما كان عليه الحُمْسُ مِنَ الوُقوفِ بِجَمعٍ.

📖 فَقَدْ أخرجَ البُخاريُّ ومُسْلِمٌ عَن عائشةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: كانتْ قُرَيشٌ ومَنْ دانَ دِيْنَها يَقِفونَ بِالمُزْدَلِفَةِ، وكانوا يُسَمَّونَ الحُمْسَ، وكانت سائرُ العَرَبِ يَقِفونَ بِعَرَفات، فَلَمَّا جاءَ الإِسلامُ، أمرَ الله نَبِيَّهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنْ يأتيَ عرفات، ثُمَّ يَقفَ بها، ثُمَّ يُفيضَ مِنها، فَذَلِكَ قَوْلُهُ سُبْحانه: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ [البَقَرَة : ١٩٩].

وَمَعْناها: ثُمَّ أفِيضوا أيُّها الحُجَّاجُ مِنْ مَكانٍ أفاضَ جِنْسُ النَّاسِ مِنْهُ قَديما وَحَديثا، وَهو عَرَفَةُ، لا مِنْ مُزْدَلِفَةَ.

تعبدهم بترك الطيبات من الرزق

تعبدهم بترك الطيبات من الرزق (الخامسة والستون) :

تعَبَّدُهُمْ بِتَركِ أكْلِ الطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ، وَتَرْكِ زِيْنَةِ الله التي أخْرَجَ لِعِبادِهِ.

قال تعالى : ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣٢﴾ [الأعراف : ٣١ - ٣٢] .

وسببُ النُّزول : على ما رُوِيَ عن ابنِ عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنه كانَ أُناسٌ مِنَ الأعْرابِ يَطوفونَ بِالبيتِ عُراةً، حَتىَّ إنْ كانتِ المرأةُ لَتطوفُ بالبيتِ وهي عُريانةٌ، فَتُعَلِّقُ على سفْلِها سُيُورا مِثل هذه السُّيورِ التي تكونُ على وَجْهِ الحُمْرِ من الذُّبابِ، وهي تقول:

اليومَ يَبدو بعضُه أوْكُلُّـــــه ❁❁❁ ومـــــــــا بَدا مِنه فَلا أُحِله

فأنزل الله تَعالى هذه الآية: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾ إلخ. ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ﴾ مِمَّا طابَ لَكُمْ.

قال الكَلْبِيُّ: كانَ أهلُ الجاهِلِيَّة لا يأكلونَ مِنَ الطَّعامِ إلا قُوتا، وَلا يَأكُلونَ دَسَمًا في أيَّامِ حَجِّهِمْ، يُعَظِّمونَ بِذَلِكَ حَجَّهُمْ، فقال المُسْلِمونَ: يا رَسُول الله! نَحْنُ أَحقُّ بِذَلِكَ، فأنزلَ الله تَعالى الآية". ومِنْهُ يَظْهَرُ وَجْهُ ذِكْرِ الأكْلِ والشُّرْبِ هُنا.

﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ﴾ بِتَحْريمِ الحَلال، كَما هو المُناسِبُ لِسَبَبِ النُّزولِ أَوْ بالتَّعَدِّي إلى الحَرامِ.

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ مِنَ الثِّيابِ وكُلِّ ما يُتَجَمَّلُ بِهِ.

﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ أيْ: مِنَ المُسْتَلَذَّاتِ.

وقيلَ: المُحَلَّلاتُ مِنَ المآكِلِ والمشارِبِ، كَلَحْمِ الشَّاةِ وَشحْمها وَلَبنها.

﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أيْ: هِيَ لَهُمْ بِالأصالَة لِمَزيدِ كَرامَتِهِم على الله تَعالى، وَالكَفَرَةُ ـ إنْ شارَكوهُمْ فيها ـ فَبِالتبعِ.

﴿خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ لا يُشارِكُهُمْ فِيْها غَيْرهُمْ.

تعبدهم بالمكاء والتصدية

تعبدهم بالمكاء والتصدية (السادسة والستون) :

تعَبُّدهمْ بِالمُكاءِ وَالتَّصْدِيَةِ.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنفال : ٣٥].

تفسيرُ هذه الآية: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ﴾ أيْ: المسجِدِ الحرامِ، الذي صَدُّوا المسلمينَ عنهُ، والتَّعبيرُ عنه بِالبيتِ للاختصارِ مَعَ الإشارةِ إلى أنَّه بيتُ الله، فينبغي أنْ يُعَظَّمَ بِالعِبادةِ، وَهُمْ لمْ يَفْعَلوا.

﴿إِلَّا مُكَآءً﴾ أيْ: صَفِيرا. ﴿وَتَصْدِيَةً﴾ أيْ: تَصفيقا، وهو ضربُ اليدِ باليدِ بِحَيثُ يُسْمَعُ له صوتٌ.

والمرادُ بالصَّلاةِ: إمَّا الدُّعاءُ، أو أفعال أُخَرُ كانوا يفعلونها، ويُسمونها صلاةً، وحُمِلَ المُكاءُ والتَّصديةُ عليها بتأويلِ ذلك بأنَّها لا فائدةَ فيها، ولا معنى لها، كَصَفيرِ الطُّيورِ، وتصفيقِ اللعِبِ.

وقد يُقالُ: المُرادُ أنَّهم وَضَعوا المُكاءَ والتّصَديةَ موضعَ الصَّلاةِ التي يَليقُ أنْ تَقَعَ عند البيتِ.

يُروى أنَّهم كانوا إذا أرادَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُصَلِّيَ، يَخْلِطونَ عليه بالصفيرِ والتَّصفيق. ويروى أنهم يصلون أيْضا. وَيرون أنَّهم كانوا يَطوفونَ عُراةً: الرِّجالُ والنِّساءُ مُشبكينَ بين أصابِعِهم، يُصَفرونَ فيها، وَيُصَفِّقونَ. وباقي الآية معلوم.

والمقصود: أنَّ مِثل هذه الأفعالِ لا تكونُ عِبادةً، بَلْ مِن شعائرِ الجاهِلِيَّة. فما يَفعَلُه اليومَ بعضُ جهلة المسلِمينَ في المساجدِ مِن المُكاءِ والتَّصدية يَزعُمونَ أنَّهم يَذكُرون الله، فهو مِن قَبيلِ فِعلِ الجاهِلِيةِ، وما أحْسَنَ ما يقولُ القائلُ فِيْهِم:

أقـــــــالَ الله صفِّقْ لي وَغَنِّ ❁❁❁ وَقـــــــلْ كُفْرًا وسَمِّ الكُفْرَ ذِكْرًا؟

وَقَدْ جَعَلَ الشَّارعُ صوتَ المَلاهي صوتَ الشَّيطانِ.

قال تعالى : ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾ [الإسراء : ٦٤]

النفاق في العقيدة

النفاقَ في العقيدة (السابعة والستون) :

دعْواهُمُ الإيمان عند المؤمنين، فَإذا خَرَجوا خرجوا بِالكُفْرِ الذي دَخَلوا به.

دعاؤهم الناس إلى الضلال بغير علم

دعاؤهم الناس إلى الضلال بغير علم (الثامنة والستون) :

دعاؤُهُمُ النَّاسَ إلى الضَّلالِ بِغَيرِ عِلمٍ.

دعاؤهم إلى الكفر مع العلم

دعاؤهم إلى الكفر مع العلم (التاسعة والستون) :

دعاؤهم النَّاسَ إلى الكفْرِ مَعَ العِلْمِ.

المكر الكبار

المكر الكبار (السبعون) :

المَكْرُ الكُبَّارُ: كَفِعْلِ قَوْمِ نوحٍ.

قال تعالى : ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا﴾ [نوح : ٢٢ - ٢٤].

ومعنى الكُبَّارِ: الكَبيرُ.

والمَكْرُ الكُبَّارُ: احتيالُهُم في الدِّين، وَصدُّهُم لِلنَّاسِ عنه، وإغراؤُهم وتحريضهم على أذية نوح عليه السلام .

وَهكذا فَعَلَ أخْلافُ هؤلاءِ مِن مَرَدَةِ الدِّين، وَأتْباع الهَوى وَعَبَدَةِ الدُّنْيا، يَفعلونَ مَعَ دُعاةِ الحَقِّ كما فَعَلَ قَوْمُ نوح عليه السلام معَهُ، قد تَشابَهَتْ قُلوبُهُم، نسألُه تعالى أنْ يُعيذَ رِجالَ الحَقِّ مِن كَيدِ مِثل هؤلاءِ الفَجَرَةِ، وَيَصُونَهُم مِن مَكْرِهِم.

وقَد جربتهم فـــــرأيت مِنْهُم ❁❁❁ خَـــــبائِثَ بِالمُهَيْمِنِ نَسْتَجيرُ

حالة علمائهم

حالة علمائهم (الحادية والسبعون) :

أئِمَّتُهمْ: إمَّا عالم فاجِرٌ، وإمَّا عابِدٌ جاهِل.

قال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البَقَرَة: ٧٥ - ٧٩] .

فَذَكَرَ في الآية أنَّ فَريقا مِن أسْلافِ اليهودِ ـ وهم الأحبارُ ـ كانوا يَسْمَعونَ التَّوراةَ ويُؤوِّلونها تأويلا فاسدا حسبَ أغراضِهم، بلْ كانوا يُحَرِّفونها بِتبديلِ كلامٍ مِن تلقائِهم، كما فَعَلوا ذَلِكَ في نعته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنَّهُ رويَ أنه مِن صِفاتِهِ فيها أنهُ أبيضُ رَبْعَة، فَغَيَّروهُ بِأسْمَرَ طويل، وغَيَّروا آيةَ الرَّجمِ بِالتَّسخيمِ وَتَسْويدِ الوجهِ، كما في البخاريِّ.

﴿وَمِنْهُمْ﴾ فَريقٌ ﴿أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ إلا بالدَّعاوى الكاذبةِ.

والمرادُ بِهِم : جَهَلَة مُقَلِّدَةٌ، لا إدراكَ لَهُمْ، وَتَمامُ الكلامِ في هذا المَقامِ يُطلَبُ مِنَ التَفسيرِ.

والمقصودُ: أنَّ تَحْريفَ الكَلِمِ، واتِّباعَ الهَوى، والقولَ على الله مِن غَيرِ عِلْمٍ مِن خِصالِ

الجاهِلِيَّةِ.

✍ وَأنت تَعلمُ حالَ أحبارِ السُّوءِ اليومَ والرُّهبانِ الذينَ يقولونَ على الله ما لا يُعْلَمُ قد تَجاوَزوا الحَدَّ في اتِّباعِ الهَوى، وَتَأويلِ النُّصوصِ، وما أشبهَ ذلِكَ، مِمَّا يَسْتَحْي منهُ الإِسلامُ، والأمرُ لِلَّهِ.

زعمهم أنهم أولياء الله

زعمهم أنهم أولياء الله (**الثانية والسبعون**) :

زَعْمُهُمْ أنَّهم أولياءُ للهِ مِن دونِ الناسِ.

دليلُ هذه المسألةِ **قولُه تعالى** : ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ﴾ [الجُمُعَة : ٦] أيْ: تَهَوَّدوا، أيْ: صاروا يَهودا.

﴿إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ﴾ [الجُمُعَة : ٦] أيْ: أحِبَّاءُ لَه سُبْحانه، وَلَمْ يُضِفْ أولياء إلَيهِ تَعالى كما في قوله سبحانه: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ [يُونُس : ٦٢] ليؤذِنَ بالفَرْقِ بَيْنَ مُدَّعي الوِلايةِ وَمَن يَخُصُّهُ بِها.

﴿مِن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾ أيْ: مُتَجاوِزينَ عنِ النَّاسِ.

﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ﴾ أيْ: فَتَمَنَّوا مِنَ اللهِ أنْ يُميتكُم، وَيَنْقُلَكم مِن دار البَلِيَّة إلى مَحَلِّ الكَرامة.

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٦﴾ في زَعْمكُم، واثقينَ بأنَّه حَقٌّ، فَتَمَنَّوا الموت فإنَّه مَن أيقَنَ أنه مِن أهلِ الجَنَّةِ أحَبَّ أنْ يَتَخَلَّصَ إليها مِن هذه الدارِ التي هي قَرارَةُ الإنكار والأكدار.

وأُمِر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنْ يقول لَهُم ذَلِكَ إظهارًا لِكَذِبهم، فإنَّهم كانوا يقولون: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّآؤُهُۥ﴾ وَيَدَّعونَ أنَّ الآخرةَ لَهُم عند الله خالصةً، ويقولونَ: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا﴾ [البَقَرَة : ١١١] كما أخبرَ تعَالى عن الكتابيِّين في كتابه، **فقال جل شأنه**: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝١١١ بَلَىٰ ۚ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ

عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [البَقَرَة: ١١١ - ١١٢].

وَرويَ أَنَّهُ لَمَّا ظَهَرَ رَسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كَتَبتْ يَهودُ المدينةِ ليهودِ خَيْبَرَ: إن اتَّبَعْتم محمَّدًا أطعْناهُ، وإنْ خالفْتُموه خالَفْناه، فقالوا: نحنُ أبناءُ خليلِ الرحمنِ، ومنا عزيرٌ ابنُ الله والأنبياءُ، ومتى كانتِ النُّبُوَّةُ في العَرَب؟ نحنُ أحَقُّ بها مِن محمد، وَلا سَبيلَ إلى اتباعِهِ، فَنَزَلَتْ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ﴾ [الجُمُعَة: ٦] الآية.

﴿وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ أَبَدَۢا﴾ إخبارٌ بحالِهم المستقبَلِ، وهو عدمُ تمنِّيهم الموتَ، وذلكَ خاصّ بأولئكَ المخاطَبينَ.

وَرويَ أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لَهم: «**والَّذِي نفسي بيدِهِ لا يقولُها أحَد مِنكُم إلا غصَّ بريقِهِ**»، فَلَمْ يَتَمَنَّهُ أَحدٌ مِنهم، وما ذَلِكَ إلا لأنَّهم كانوا مُوقِنينَ بصدقِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَعَلِموا أنَّهم لو تَمَنَّوا لمَاتوا مِن ساعتِهم، وَلَحِقَهم الوعيدُ، وهذه إحدى المُعجِزاتِ.

﴿بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ أيْ: بسببِه، كَأَنَّهُ قيلَ: انْتَفَى تَمَنِّيهم بِسببِ ما قَدَّمتْ.

والمُرادُ بِما قَدَّمَتْهُ أيْديهم: الكُفْرُ والمعاصي الموجِبةُ لدخولِ النَّارِ، وَلَمَّا كانت اليدُ مِن بينِ جوارحِ الإنسانِ مَناطَ عامَّةِ أفعالِه، عَبَّرَ بها تارةً عن النَّفسِ وأخرى عنِ القُدرةِ.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾﴾ أيْ: بِهِمْ، وإيثارُ الإظهارِ على الإضمارِ لِذَمِّهِمْ، والتسجيلِ عَلَيْهِم بِأنَّهم ظالِمونَ في كُلِّ ما يأتونَ وَيَذَرونَ مِنَ الأمورِ الَّتي مِن جُمْلَتها ادِّعاءُ ما هم عنه بِمَعْزِلٍ، أيْ: واللهُ عليمٌ بما صَدَرَ منهم من فُنونِ الظلمِ والمعاصي، وَبِما سَيكونُ مِنهم، فيجازيهم على ذَلِكَ.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ﴾ وَلا تَجْسُرونَ عَلى أنْ تَمَنَّوْهُ مَخافَةَ أن تُؤخَذوا بِوَبال أفْعالِكُمْ.

﴿فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ ألْبتةَ، مِن غيرِ صارِفٍ يَلويهِ، وَلا عاطِفٍ يَثْنيهِ.

﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ الذي لا تَخْفى عَلَيْهِ خافيةٌ.

﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٨﴾ مِنَ الكُفْرِ وَالمعاصي بِأنْ يُجازِيكم بِها. وهذا دَيْدَنُ الزَّائغينَ، وشَأْنُ الملحِدينَ، **كما قَالَ تَعالى** ـ عَن اليَهود ـ : ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ [المَائِدَة : ١٨].

وَقَدْ وَرِثَ هَذِهِ الخصلةَ كَثيرٌ مِمَّن يَنْتَمي إلى المِلَّةِ الإسلاميَّةِ، بَلْ كُلّ مِنَ الفرَقِ يقول: نحنُ أَوْلِياءُ الله، مَعَ أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ في حديثِ الفِرَقِ في بيانِ الفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ: «**وهُمْ ما أنا عليه وأصْحابي**».

دعوى محبة الله مع ترك شرعه

دعوى محبة الله، مع ترك شرعه (الثالثة والسبعون):

دَعْواهم مَحَبَّةَ اللهِ مَعَ تركِ شَرعِهِ. فَطالَبَهُم سُبحانَه **بقولِهِ**: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عِمْرَان : ٣١].

قال الحسن وابنُ جُرَيْجٍ: زَعَمَ أقوام عَلى عَهدِ رسولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّهم يحِبُّونَ الله، فقالوا: يا مُحَمَّدُ إنَّا نُحِبُّ ربَّنا، فَأنْزَلَ الله تَعالى هذه الآية.

📖 وَرَوى الضَّحاكُ عنِ ابنِ عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: وَقَفَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على قريشٍ في المسجد الحرامِ، وقد نَصَبوا أصنامَهم، وَعَلَّقوا عَلَيها بَيْضَ النَّعامِ، وَجَعَلوا في آذانِها الشُّنوف،(١) وَهُم يَسجدونَ لها، فقالَ: يا معشرَ قريشٍ، لقد خالَفْتُم مِلَّةَ أبيكم إبراهيمَ وإسْماعيلَ، وَلَقَدْ كانا على الإسلام. فَقَالَتْ قُرَيش: يا محمَّدُ، إنَّما نَعبدُ هذه حُبًّا لِلَّهِ؛ لِتقرِّبَنا إلى الله زُلْفى، **فأنْزَلَ الله تعالى**: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾ إلخ.

📖 وفي رواية أبي صالحٍ أنَّ اليهودَ لَمَّا قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه أنزلَ الله هذه الآية، فَلَمَّا نَزَلَت عَرَضها رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على اليهودِ، فَأبَوا أنْ يَقْبَلوها.

📖 وَرَوى محمَّدُ بنُ إسحاقَ عن محمَّدِ بن جَعفرِ بنِ الزُّبَيرِ قالَ: نَزَلَت في نَصارى نَجرانَ، وَذَلِكَ أنهم قالوا: إنَّما نُعَظِّمُ المسيحَ، نَعْبُدُهُ حُبًّا لِلَّهِ، وتَعْظيمًا لَهُ، فأنزلَ الله تَعالى

---

(١) الشنف: القرط الأعلى، أو معلاق في قوف الأذن، أو ما علق في أعلاها، جمعه شنوف، وما علق في أسفل الأذن قرط.

هَذِهِ الآية رَدًّا عَلَيْهِم.

وَبِالجُمْلَة إن مَنْ تَلبَّسَ بالمعاصي لا يَنْبَغي لَهُ أنْ يَدَّعيَ مَحَبّةَ الله، وَمَا أحْسَنَ قولَ القائلِ:

تعْصي الإله وأنـــــتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ ❁❁❁ هَـــــذَا لَعَمْرِي في القِياسِ بَديعُ

لو كانَ حُبُّكَ صـــــادقا لأطعْتَهُ ❁❁❁ إنَّ الـــــمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطيعُ

تمنِّيهم على الله تعالى الأماني الكاذبة

تمنِّيهم على الله تعالى الأماني الكاذبة (الرابعة والسبعون) :

تمنِّيهم على الله تَعالى الأماني الكاذبةَ.

قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [آل عِمْرَان : ٢٣ - ٢٤] .

أخرج ابنُ إسحاقَ وجماعةٌ عن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قالَ: دَخَلَ رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بيتَ المِدْراسِ على جماعةٍ من يهودَ، فدعاهم إلى الله تَعالى، فقال النُّعمانُ بنُ عمرو والحارثُ بنُ زيدٍ: على أيِّ دينٍ أنت يا محمَّدُ؟ فقال: « **عَلى مِلَّةِ إبراهِيمَ ودِينِهِ**» ، قالا: فإنَّ إبراهيمَ كان يهوديًّا، فقال لهما رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ : «**فَهَلُمَّا إلى التَّوراةِ، فهي بيننَا وَبينكُمْ، فأيُّنا عليه**»، فأنزل الله تَعالى هذه الآية.

وَفِي "**البَحْرِ**": زَنى رجلٌ مِنَ اليهودِ بامرأةٍ، ولم يكن بعدُ في دِيننا الرَّجمُ، فَتحاكَموا إلى رسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ تَخْفيفًا على الزَّانِيَيْنِ لِشَرَفِهما، فقال رسولُ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ : «**إنَّما أحْكمُ بِكِتابكُم**»، فَأنْكَروا الرَّجمَ، فَجِيءَ بِالتَّوراةِ، فَوَضَع جرهمُ بنُ صُورْيا يَدَهُ عَلى آية الرّجم، فقال عبد اللهِ بنُ سَلامٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: جاوزَها يا رسولَ الله، فَأظْهَرَها، فَرُجِما، فَغَضبتِ اليهودُ، فَنَزَلَتْ.

ومَعنى قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ أيْ: المذكورُ مِنَ التَّوَلِّي والإعْراضِ حاصِلٌ لَهُم بِسَبَبِ هَذَا القولِ الَّذِي رسخ اعتقاهم به، وَهَوَّنوا بِهِ

الخُطوبَ، وَلَمْ يُبالوا معهُ بارْتكابِ المَعاصي والذُّنوبِ.

والمُرادُ بالأيَّامِ المَعدوداتِ: أيَّامُ عِبادتِهم العِجْلَ.

﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ أيْ: غَرَّهُم افتِراؤُهم وكَذِبُهُم، أو الَّذِي كانوا يَفْترونَه مِن قَولِهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ﴾ [آل عِمْرَان : ٢٤] أوْ مِن قولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المَائِدَة : ١٨]

أوْ مِمَّا يَشْمَلُ ذَلِكَ ونحوه مِن قَولِهم: إن آباءَنا الأنبياءَ يَشْفعونَ لَنَا، وأنَّ الله تَعالى وَعَدَ يَعقوبَ أنْ لا يُعَذِّبَ أبناءَه إلا تَحِلَّةَ القَسَمِ. فَرد عليهم سبحانه بقوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ﴾ [آل عِمْرَان : ٢٥] إلخ.

📖 رُويَ أنَّ أوَّلَ رايةٍ تُرفَعُ لأهلِ المَوقِفِ مِن راياتِ الكُفَّارِ رايةُ اليهودِ، فيفضحُهُمُ الله تَعالى على رُؤوسِ الأشهادِ، ثُمَّ يأمُرُ بِهِم إلى النَّارِ.

✍ وهكذا رأينا كثيرا من أهل زماننا يفعلون ما يفعلون من المنكرات، اعتمادا على الشَّفاعةِ، أو على عُلُوِّ الحَسَبِ وَشَرَفِ النَّسَبِ، واللهُ المُستَعانُ.

وقال عَزَّوَجَلَّ : ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ ۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾﴾ [البَقَرَة : ٨٠ - ٨١].

اتخاذ قبور الصالحين مساجد

اتخاذ قبور الصالحين مساجد (الخامسة والسبعون) :

اتِّخاذُ قُبورِ أنبيائِهم وصالِحيهِم مساجِدَ.

هذه المسألة من خصال الكتابيين أيام الجاهلية.

ذ وفي ذَلِكَ ورد الحديثُ الصَّحيحُ: «لَعَن الله اليهودَ والنّصَارى اتَّخَذُوا قُبورَ أنبيائِهم مَساجدَ» ، ثُمَّ قَالَ: «فَلا تَتَّخِذوها مَساجِدَ».

📖 وَفِي الصَّحيحينِ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «قاتَلَ الله اليهودَ والنّصَارى، اتَّخَذوا قُبورَ أنبيائِهم مَساجِدَ».

وَفِي لفظٍ لِمُسْلِمٍ: «لَعَنَ الله اليهودَ والنّصَارى، اتَّخَذُوا قُبورَ أنْبيائِهِم مَساجِدَ».

📖 وَفِي الصَّحيحينِ عن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قالا: لَمَّا نزلَ بِرسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، طفق يطرح خميصة على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه، فقال ـ وهو كَذَلِكَ ـ :«لَعَنَ الله اليهودَ والنصَّارى، اتَّخذوا قبورَ أنبيائِهم مَسَاجِدَ"، يُحَذِّرُ ما صَنَعَوا».

📖 وَفِي الصَّحيحينِ ـ أيْضا ـ عن عائشةَ أنَّ أمَّ سَلَمَةَ وأمَّ حَبيبةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ ذَكَرَتا لِرَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَنيسةً رَأيْنَها بأرضِ الحَبَشَةِ يقال لها: (ماريَة) وَذَكَرَتا مِن حُسْنِها وتَصاويرَ فيها، فقال رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «أولئكَ قومٌ إذا ماتَ فيهم العبدُ الصَّالحُ أو الرَّجلُ الصالحُ بنَوا على قبرِهِ مسجدًا، وَصَوَّروا فيه تلك الصُّورَ، أولئكَ شرارُ الخَلْقِ عند الله».

وعن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: لَعَنَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زائراتِ القبورِ والمُتَّخِذينَ عَليها المساجدَ والسُّرُجَ. رواه أهلُ السُّننِ الأربعة.

فهذا التَّحذيرُ منه، واللعنُ عن مُشابهةِ أهلِ الكتابِ في بناءِ المسجِدِ على قبرِ الرَّجلِ الصَّالحِ صريحٌ في النَّهيِ عنِ المشابهةِ.

وفي هذا دليل على الحذرِ عن جِنسِ أعمالِهم، حيثُ لا يؤمنُ في سائرِ أعمالِهم أنْ يكونَ من هذا الجنسِ.

ثُمَّ من المعلومِ ما قد ابتُلِيَ به كثيرٌ من هذه الأمَّةِ من بناءِ القبورِ مساجدَ، واتِّخاذِ القبورِ مساجدَ بِلا بناءٍ، وَكِلا الأمرينِ مُحَرم، معلونٌ فاعلُه بالمستفيضِ من السُّنَّةِ، وَلَيْسَ هَذَا موضعَ استقصاءِ ما في ذَلِكَ من سائرِ الأحاديثِ والآثارِ، ولهذا كان السَّلفُ يُبالِغونَ في المنعِ.

اتخاذ آثار الأنبياء مساجد

اتخاذ آثار الأنبياء مساجد (السادسة والسبعون) :

اتخاذُ آثارِ أنبيائِهم مساجِدَ، كَمَا وَرَدَ عَن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فإنَّ هذه المسألةَ مِن بِدَعِ جاهِلِيّة الكِتابيِّينَ، كانوا يَتَّخِذونَ آثارَ أنبيائِهم مَساجدَ، فَوَرِثَهُمُ الجاهِلونَ مِن هذه الأمَّة، فَتراهم يبْنون عَلى موضِعٍ اخْتفى بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ وَصَلَ قَدَمهُ المُبارَكُ إليه، أو تَعَبَّدَ فيهِ، فَهَذَا لَيْس يُحْمَدُ في الشَّريعةِ؛ لِجَرِّهِ إلى الغُلُوِّ.

✍ وَفِي العِراقِ مواضعُ كثيرة بَنوا عَلَيْها مَبانِيَ، كالمقام الَّذِي زَعَموا أنَّ الشَّيخ الكَيلانيَّ تَعَبَّدَ فيهِ، وَكَأثَر الكَفِّ الَّذِي زَعَمَ الشِّيعَةُ أنَّهُ أثَرُ كَفِّ الإمامِ عَليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا وَضَعَه على الصَّخْرةِ فَأثَّرَ فِيْهَا، فَبَنَوا عَلَيْها مَسجدا، وَكَعِدَّةِ أماكِنَ زَعَموا أن الخَضِرَ رئيَ فيها، **ولا أصلَ لَهُ**، إلى غيرِ ذَلِكَ مِمَّا لا يَسْتَوْعِبُهُ المَقامُ.

✍ فَينبغي لِمَن يَدَّعي الإسلامَ أنْ يَتَجَنَّبَها، وَينْهى عن حُضورِها، وإنْ رُمِيَ بالإنكارِ، وَعَداوةِ الأشْرارِ، وَكَيْدِ المارقينَ الفُجَّارِ.

✍ **وفي المسألةِ تفصيلٌ لا بأسَ بِذِكْرِهِ:** قال شيخُ الإسلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ : أما مَقاماتُ الأنبياءِ والصَّالحينَ ـ وهي الأمكنةُ التي قاموا فيها أوْ أقاموا، أوْ عَبَدوا الله سُبْحانه ـ لكنَّهم لَمْ يَتَّخذوها مساجِدَ ـ فالَّذِي بَلَغني في ذَلِكَ قَولانِ عن العلماءِ المَشْهورينِ:

ـ **أحَدُهُما** : النَّهيُ عن ذَلِكَ، وكراهتُه، وأنَّه لا يُسْتَحَبُّ قصدُ بُقْعَةٍ لِلعِبادةِ، إلا أن يكونَ قَصْدُها لِلعبادةِ مِمَّا جاءَ به الشَّرعُ، مِثْلُ أنْ يكونَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قصَدَها لِلعبادةِ كَما قَصدَ الصَّلاةَ في مَقامِ إبراهيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكما كان يَتَحَرَّى الصلاةَ عند

الاسطُوانةِ، وكما تُقْصدُ المساجِدُ لِلصَّلاةِ، ويُقْصَدُ الصَّفُّ الأوَّل، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

ـ **القول الثَّاني**: أنه لا بأسَ باليَسير مِن ذَلِكَ، كَما نُقِلَ عن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه كان يَتَحَرَّى قَصْدَ المواضِعِ التي سَلَكَها النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سلكها اتِّفاقًا لا قَصدًا.(١)

وَسُئِلَ الإمامُ أحمدُ رَحِمَهُ اللَّهُ عن الرَّجُلِ يأتي هذه المَشاهِدَ، وَيَذْهَبُ إليها، تَرى ذَلِكَ؟

قَالَ: أمَّا على حَديثِ ابنِ أمِّ مَكْتوم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سَألَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنْ يُصَلِّيَ في بيتِه حتى يَتَّخِذَ ذَلِكَ مُصَلًّى، وعلى ما كان يَفعَلُه ابنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يتتبعُ مواضعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأثَرَه، فَلَيْس بِذَلِكَ بأسٌ أنْ يأتيَ الرَّجُلُ المَشاهِدَ، إلا أنَّ النَّاسَ قَدْ أفْرَطوا في هذا جِدًّا، وأكْثروا فيه.(٢)

وَكَذلِكَ نَقَلَ عنه أحمدُ بنُ القاسمِ أنَّه سُئِلَ عن الرَّجُلِ يأتي هذه المَشاهِدَ التي بالمدينةِ وغيرِها يذهبُ إليها؟

فقالَ: أمَّا عَلى حديثِ ابنِ أمِّ مَكْتومٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سألَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنْ يأتيَه، فيصليَ في بيتِه، حَتَّى يَتَّخِذَه مَسجدا، وَعَلى ما كان يَفعَلُ ابنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، كان

---

(١) وكان أبوه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على عكس ذلك كما سيأتي، وانظر (ص١٠٥) من "**التوسل والوسيلة**" طبع السلفية.

(٢) فما بالك بما وصل إليه الأمر بعد زمن الإمام أحمد! .

يَتتبَّعُ مواضعَ سَيْرِ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى أنه رُئِيَ يَصُبُّ في موضِعٍ ماءً، فَسُئِلَ عن ذَلِكَ، فَقَالَ: رأيتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُبُّ ههنا ماءً.

قال: أمَّا على هذا فلا بأسَ به.

قال: وَرَخصَ فيه، ثُمَّ قال وَلَكِنْ قد أفْرطَ النَّاسُ جدًّا، وَأكْثروا في هذا المعنى. فَذَكَرَ قَبرَ الحُسينِ وما يَفعلُ النَّاسُ عندَه. رواهما الخَلاَّلُ في **"كتابِ الأدَبِ"**.

فَقَدْ فَصَّلَ أبو عبدِ اللهِ في المَشاهِدِ وهي الأمكنةُ التي فيها آثارُ الأنبياءِ والصَّالحينَ من غيرِ أنْ تكونَ مساجدَ لهم كمواضعَ بالمدينة بَيْنَ القليلِ الذي لا يَتَّخِذونَه عيدا، أو الكثيرِ الذي يَتَّخذونَه عيدًا كما تَقَدَّمَ.

✍ وهذا التَّفصيلُ جَمَعَ فيه بَيْنَ الآثارِ وأقوالِ الصحابة:

📖 فإنَّه قد رَوَى البُخاريُّ في صحيحه عن موسى بنِ عقبةَ قَالَ: رأيت سالمَ بنَ عبدِ اللهِ يَتَحَرَّى أماكِنَ مِن الطَّريقِ، وَيُصلِّي فيها، وَيُحَدِّثُ أنَّ أباه كان يُصلِّي فيها، وَأنَّه رأى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي في تلكَ الأمْكِنَةِ"، فهذا كَما رَخَّصَ الإمامُ أحمدُ. وأمَّا كراهَتُهُ، فَقَدْ رَوى سعيدُ بنُ منصورٍ في سُنَنِهِ قال: حَدَّثَنا أبو مُعاويةَ قال: حَدَّثَنا الأعْمشُ عن المَعْرورِ بنِ سُوَيْدٍ عن عُمَرَ قال: خَرَجْنا مَعَهُ في حجةٍ حجها، فَقَرَأ بِنا في الفجر بـ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١﴾ [الفيل : ١] و ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١﴾ [قُرَيْش : ١] في الثَّانية، فَلَمَّا رَجَعَ مِنْ حَجَّتِهِ رَأى النَّاس ابْتَدَروا المَسْجدَ، فقال: ما هذا؟ فقالوا: مَسْجِدٌ صَلَّى رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه، فقال: هكذا هَلَكَ أهلُ الكتابِ قَبلَكم، اتَّخَذوا آثارَ أنبيائِهم بِيَعًا، مَنْ عَرَضَتْ لَهُ مِنْكُمُ الصَّلاةُ فيه فَلْيُصَلِّ، ومن لم تعرض له الصلاة فَلْيَمْضِ.اهـ

فقد كَرِهَ عُمرُ اتِّخاذَ مُصلَّى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِيدًا، وَبَيَّنَ أنَّ أهلَ الكتابِ إنَّما هَلَكوا بِمثلِ هذا، كانوا يَتَّبِعونَ آثارَ أنبيائِهم، وَيَتَّخِذونها كنائسَ وَبِيَعًا.(١)

📖 وَرَوَى محمَّدُ بنُ وضَّاح وغيرُه: أنَّ عمرَ بنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أمَرَ بقطعِ الشَّجَرَةِ التي بُويعَ تحتَها النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنَّ النَّاسَ كانوا يذهبونَ تحتها، فخافَ عمرُ الفتنةَ عليهم. وَمَا ذَكَرَه عُمَرُ هو الحَرِيُّ بِالقبولِ، وهو مذهبُ جُمهورِ الصَّحابة، غيرَ ـ ابنه ـ وهو الَّذي يَجبُ العملُ به، ويُعَوَّلُ عَلَيْهِ.

---

(١) انظر (ص ١٢، ١٧، ٢٣، ٢٤) من "**التوسل والوسيلة**" لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، طبع السلفية.

اتخاذ السرج على القبور

اتخاذ السرج على القبور (السابعة والسبعون) :

اتَّخاذ السُّرُجِ على القُبورِ.

📖 دَليلُ حُرْمَة ذَلِكَ ما وردَ عن رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن الحديثِ الَّذِي سَبَقَ ذِكرهُ مِن لَعْنِ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ.

وَلَيْتَكَ رَأَيْتَ ما يُوقَدُ في تُرَبِ أئِمَّةِ أهلِ البيتِ ونحوِها مِن الشُّموعِ، ولا سيما في لَيالي رَمَضانَ والليالي المُبارَكَةِ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

اتخاذ القبور أعيادا

اتخاذ القبور أعيادا (الثامنة والسبعون) :

اتِّخاذُها أعْيادًا.

اعْلَمْ أنَّ العِيدَ اسمٌ لِما يَعودُ مِن الاجْتِماعِ العامِّ على وَجْهٍ مُعْتادٍ عائدًا ما تَعودُ السَّنَةُ أوْ يَعودُ الأسبوعُ أو الشَّهرُ أو نَحْو ذَلِكَ[١] فالعيد يَجمعُ أُمورا :

منها: يومٌ عائدٌ، كَيومِ الفِطْرِ، وَيَومِ الجُمُعَةِ.

ومِنها : اجتِماع فيه.

ومِنها: أعمالٌ تَجمع ذَلِكَ مِنَ العِباداتِ أوِ العاداتِ.

وَقَدْ يَخْتَصُّ العيدُ بمَكانٍ بِعينه، وَقَدْ يكونُ مُطْلَقًا. هؤلاءِ مُسْلِمو أهلِ العراقِ، لِكُلِّ تُربة وليٍّ يوم مخصوصٌ يجتمعون فيه للزِّيارةِ، كزيارةِ الغَديرِ، وَمَرَدِّ الرَّأس.

ومِنهم من خُصَّ له يومٌ من أيَّامِ الأسبوعِ، فالجمعةُ لِفلانٍ، والسبت لفلان، والثّلاثاءُ لِفُلانٍ، وهكذا. وَمِن ذَلِكَ بعضُ الأيَّامِ والليالي المُباركَة، كَلَيْلَةِ القَدْرِ، وَأيَّامِ الأعْيادِ، وَلَيلة النِّصْفِ مِن شَعْبانَ، وَغيرِ ذَلِكَ، مِمَّا لَمْ ينزلِ الله بهِ مِن سُلْطانٍ.

---

(١) ويسمى في مصر (مولدا) وإن كان المنسوب إليه مجهول يوم مولده أو سنة مولده.

الذبح عند القبور

الذبح عند القبور (التاسعة والسبعون) :

الذَّبْحُ عندَ القُبورِ.

قال الله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام : ١٦٢ - ١٦٣] أمَرَهُ الله تعالى أنْ يُخْبِرَ المُشرِكينَ الذين يَعبدونَ غيرَ الله، ويَذبحونَ لَهُ، أي أنه أخلصَ لِلَّهِ صلاتَه وذبيحتَه؛ لأنَّ المُشرِكينَ يَعبدونَ الأصنامَ ويذبحونَ لَها، فَأمَرَهُ الله تعالى بِمُخالَفَتِهِم، والانحرافِ عمَّا هُم فيه، والانقيادِ بالقَصْدِ والنِّيَّةِ والعزمِ على الإخلاصِ لِلَّهِ تَعالى.

فَمَن تَقَرَّبَ لغيرِ الله تعالى لِيَدفَعَ عنه ضَيرا، أو يَجْلِبَ لَه خَيرا، تَعظيما لَهُ، مِن الكُفْرِ الاعتقاديِّ والشِّرك الذي كان عليه الأوَّلون.

وسببُ مشروعيَّةِ التَّسَميَةِ : تخصيصُ مِثلِ هذه الأمورِ العِظامِ بالإلهِ الحَقِّ المعبودِ العلامِ، فإذا قُصِدَ بالذَّبحِ غيرُه، كان أولى بالمنعِ.

وَصَحَّ نهيُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمَّنِ اسْتأْذَنَهُ بالذَّبحِ بِبُوانَةَ، وأنه قد نَذَر ذَلِكَ، فقال له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**أكانَ فيها صَنم؟**»، قَالَ: لا، قال: «**فَهَل كان فيها عِيد مِن أعيادِ المُشرِكِينَ؟**»، قال: لا، قال: «**فأَوْفِ بنذرِكَ**». أخرج ذلك أبو داودَ في سُنَنِهِ.

وهذا السَّائلُ مُوَحِّد مُقَرِّبٌ لِلَّهِ سبحانَه وتعالى وحْدَه، لَكِنِ المكان الذي فيه معبود غيرُ الله، وَقَدْ عُدِمَ، أو مَحَلٌّ لاجْتِماعِهِم يَصْلُحُ مانِعًا، فلَمَّا عَلِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنْ لَيْسَ هناك شَيء مِن ذَلِكَ، أجازَهُ، وَلَو عَلِمَ شَيْئًا مِمَّا سألَ عنه، لَمَنَعَهُ، صِيانَةً لحِمى

التَّوحيدِ، وَقَطْعًا لذَريعَةِ الشِّركِ.

وَصَحَّ ـ أيْضا ـ عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قَالَ: «دَخَلَ الجَنَةَ رَجُلٌ في ذُباب، وَدَخَلَ النَّارَ رَجل في ذُباب»، قالوا: كيف ذلك يا رسولَ الله؟ قال: «مَرَّ رجُلانِ على قوم لهم صَنَمٌ لا يُجاوِزُهُ أحد حتى يُقَرِّبَ لَهُ شَيئا، قالوا لَهُ: قَرِّبْ وَلَوْ ذُبابا، فَقَرَّبَ ذبابا، فَخَلَّوا سبيلَه، فَدَخَلَ النّارَ، وقالوا للآخرِ: قَرِّبْ، قال: ما كنتُ أقرِّبُ شَيْئًا لأحَدٍ دونَ الله عَزَّ وَجَلَّ، فَضَربوا عُنقهُ، فَدَخَلَ الجَنَّة».

ففي هذا الحديثِ من الفوائدِ:

ـ كَونُ المُقَرِّب دخل النَّارَ بالسَّببِ الذي لم يَقْصِدْ، بل فَعَلَه تَخَلُّصا مِن شَرِّهِم.

ـ وَأنهُ كان مُسْلِما، وإلا لَمْ يَقُلْ: دخل النَّارَ.

ـ وفيه ما يَنبغي الاهتمامُ بِهِ مِن أعمال القُلوبِ، التي هي المَقصودُ الأعظمُ والرُّكْنُ الأكبرُ.

فَتَأمَّلْ في ذَلِكَ، وانظُرْ إلى فؤادِك في جميعِ ما قالوه، وَألْقِ سَمْعَكَ لِما ذَكَروهُ، وانظُر الحَقَّ، فإنَّ الحَقَّ أبْلَجُ والباطِلَ لَجْلج، فَبالنَّظَرِ التَّامِّ إلى ما كان عليه المُشرِكون مِن تَقَرُّبِهم لأوثانِهم؛ لِتُقَرِّبَهُمْ إلى الله؛ لِكونهم شُفعاءً لهم عند الله، وشفاعتُهم بسبب أنَّهم رُسُلُ الله أو ملائكةُ الله أو أولياءُ الله، يتبينُ لك ما عليه النَّاسُ الآنَ.

واللهُ المستعانُ.

التبرك بآثار المعظمين

التبرك بآثار المعظمين (الثمانون) :

التَّبَرّكُ بآثارِ المعظمينَ، كَدارِ النَّدوَةِ، وافتِخار مَن كانت تحت يدهِ بِذَلِكَ. كما قيل لحكيمِ بنِ حِزامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بعتَ مَكْرُمَةَ قريشٍ، فقال: ذهبت المكارمُ إلا التقوى.

هذه الخَصلةُ قدِ امْتَدَّت عروقُ ضَلالِها في أودِية قُلوبِ جَهَلَةِ المُسلِمينَ، وزادوا في الغُلُوِّ بِها عَلى ما كانَ عَلَيْهِ جاهِلِيةُ العربِ والكِتابِيِّينَ.

ولا بِدْعَ مِن حكيم بنِ حزامٍ القريشيِّ الأسديِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا ما ردَّ عَلى مَن قال له: بِعتَ مَكْرُمَةَ قريشٍ؟ وقد باعها مِن مُعاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمائةِ ألفِ دِرهَمٍ: (ذهبت المَكارمُ إلا التقوى). كيفَ لا وقد كان عاقلا سرَيّا، فاضلا تَقيًّا، سَيِّدا بِمالِهِ غَنِيّا، أعتَقَ في الجاهِلِيَّةِ مائةَ رَقَبَةٍ، وَحَمَلَ عَلَى مائة بَعِيرٍ، وحَجَّ في الإِسلامِ ومعه مائةُ بَدَنَةٍ قَدْ جَلَّلَها بالحَبِرَةِ، وَكَفَّها عن أعجازِها، وأهداها، وَوَقَفَ بمائة وَصيفٍ بعرفةَ في أعناقِهِم أطواقُ الفِضَّةِ مَنْقوشٌ فيها: (عتقاءُ الله عن حكيمِ بنِ حِزامٍ).

وأَهْدَى ألفَ شاةٍ، وهو الَّذِي عاش في الجاهِلِيَّةِ ستِّينَ سَنَةً، وفي الإِسلام ستِّينَ سَنَةً، وَوُلِدَ في الكَعْبَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الفخر بالأحساب

(الحادية والثمانون) :

الفَخْرِ بِالأَحْسابِ.

الاستسقاء بالأنواء

(**الثانية والثمانون**) :

الاسْتِسْقاءُ بالأنْواءِ.

الطَّعْنُ في الأنسابِ

(**الثالثة والثمانون**) :

الطَّعْنُ في الأنسابِ.

النِّياحَةُ

(**الرابعة والثمانون**) :

النِّياحَةُ.

أقولُ: هذه المسائلُ الأربعُ دليلُ بُطلانِها حديثٌ واحدٌ، وهو :

📖 ما رواه البخاريُّ ومُسْلِمٌ، واللفظُ لِمسلمٍ، بسنده إلى أبي مالكٍ الأشعَريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حدثه قال: «**أربع في أمَّتي من أمرِ الجاهِلِيةِ لا يترُكونَهُنَّ: الفخرُ في الأحسابِ، والطَّعنُ في الأنساب، والاسْتِسْقاءُ بالنجوم، والنَّاحبةُ ـ أو قال: النَّائحَةُ ـ إذا لَمْ تَتُبْ قَبلَ مَوتها، تُقامُ يومَ القِيامةِ وعليها سربال مِن قَطِرانٍ، وَدِرْع مِن جَرَب**».

الفخرُ في الأحسابِ: افتخارُهُم بِمَفاخِرِ الآباءِ.

والطَّعْنُ في الأنسابِ: إدخالُهم العيبَ في أنسابِ النَّاسِ، تَحْقيرا لآبائِهم، وتَفْضيلا لآباء أنْفُسِهم على آباء غيرِهم.

والاسْتِسْقاءُ بالنجُّوم: اعْتِقادُهُم نُزول المَطَرِ بِسُقوطِ نَجْمٍ في المغربِ مع الفجرِ، وطلوع آخَر يُقابلهُ من المشرقِ، فقد كانوا يَقولونَ: مُطِرْنا بِنَوءِ كَذا.

وقالَ تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الوَاقِعَة : ٨٢] وهذا مُفَصَّلٌ في كُتُبِ الأنْواءِ بِما لا مَزيدَ عَلَيْهِ.

ومَعْنَى قوله في النَّائحَةِ: « **وعليها سِرْبالٌ مِن قَطرانٍ**» : أنَّ الله تَعالى يُجازيها بِلِباسٍ مِن قَطرانٍ لأنَّها كانت تَلْبَسُ الثِّياب السُّودَ.

وَقولُهُ: «**دِرْع مِن جَرَبٍ**» ، يعني: يُسلَّطُ على أعضائها الجَرَبُ والحكَّةُ، بحيثُ يُغَطِّي بَدَنَها تَغطيَةَ الدِّرعْ ـ وهو القميصُ ـ لأنَّها كانت تَجْرَحُ بكلماتِها المُحْرِقَةِ قُلوبَ ذَوي المُصيباتِ.

فهذا الحديثُ دَل على بطلانِ ما كان عليه أهلُ الجاهِلِيَّةِ مِن هذِهِ الخصال الرَّديئَةِ.

وورثتهم اليومَ مِن هذهِ الأمَّة، تَجاوَزوا فيها أسلافَهُم، وزادوا في الطَّنبورِ نغَماتٍ، فَتراهم يَفْتَخرون بِمَزايا آبائِهم وهُمْ بمَراحِلَ عنهم، فهذا يقول: كان جَدِّي الشيخَ الفُلانيَّ، وهذا يقولُ: جدِّي العَالِمُ الرَّبَّانيُّ، إلى غيرِ ذَلِكَ.

وكذلك الطَّعْنُ في الأنسابِ، فهذا يقولُ: إنَّ آباءَ فلانٍ لم يَكونوا مِن العترةِ الطَّاهرةِ،

وذاك يقول: إن آباء فلان لم يكونوا من ذوي الأحساب الباهرة، وكذلِكَ الاسْتِسْقاءُ بالأنْواءِ، ولم يعتقدْ كثير مِنَ النَّاسِ أنَّ ما كان إنما هو من فعلِ ربِّ الأرضِ والسَّماءِ.

وهكذا النَّوحُ على الأمواتِ، فقد اتَّخَذَهُ كثيرٌ مِن النَّاسِ مِن أفضلِ الأعمال، وسببِ الوصولِ إلى مَرضاةِ ذي الجَلالِ، لا سِيَّما مَن اتَّخَذَ المآتِمَ الحُسَيْنِيَّةَ في كلِّ عامٍ، فهناك مِنَ البدَعِ ما تكَلُّ عن نَقْلِه ألسنةُ الأقلامِ، والويلُ كل الويلِ لِمَن أنْكَرَ شَيْئا مِن ذَلِكَ، فإنَّهَم يُورِدونَه مَوارِدَ العَطَبِ والمَهالِكِ، والأمر لِلَّهِ، ولا حَولَ ولا قُوَّةَ إلا باللهِ.

تعيير الرجل بفعل أمه وأبيه

تعيير الرجل بفعل أمه وأبيه (الخامسة والثمانون) :

تعْيِيرُ الرَّجُلِ بِفِعْلِ غَيرِهِ، لا سيَّما أبوه وأمّه.

فَخالَفَهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقالَ: «أعَيَّرْتَهُ بأمِّهِ؟ إنَّكَ امرؤ فيكَ جاهِلِيَّةٌ».

والحديثُ في صحيح الإمامِ البخاريِّ في باب : المعاصي مِن أمرِ الجاهِلِيَّةِ، ولا يَكْفُرُ صاحبُها بارْتكابِها إلا بالشِّركِ لِقولِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «إنَّكَ امرؤ فيكَ جاهِلِيَّةٌ». وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النِّسَاء : ٤٨].

وهذا البابُ في كتابِ الإيمان من صحيحِه، ثُمَّ قَالَ: "حَدَّثَنا سُليمانُ بنُ حَرْب، قالَ: حَدَّثَنا شُعْبَةُ عن واصلٍ عن المَعْرورِ، قال: لَقِيتُ أبا ذَر بالرَّبَذَةِ، وَعَلَيْهِ حُلَّة وعلى غلامِهِ حُلَّة، فسألتُهُ عن ذلكَ، فقالَ: إني سابَبْتُ رَجلا، فَعَيَّرْتُهُ بأمِّهِ، فقالَ لي النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «يا أبا ذرٍّ، أعَيَّرْتَهُ بأمِّهِ؟! إنَّكَ امرؤ فيكَ جاهِلِيَّةٌ، إخوانكُم خولُكُم، جعَلَهُمُ اللهُ تَعالى تحتَ أيديكُم، فمَن كان أخوه تحتَ يدِهِ، فَلْيطعِمْهُ مِمَّا يأكلُ، ولْيلبِسْهُ مِمَّا يلبسُ، ولا تكلِّفوهُم ما يغلِبُهم، فإن كلَّفْتُموهم، فأعينوهم».

وقد أطْنبَ شُرَّاحُ الحديثِ في شرحِهِ، وليس هذا موضع اسْتقصائِهِ.

والمقصودُ منهُ : أن تَعْيِيرَ الرَّجُلِ بِفِعْلِ غيرِه ليس من شأنِ كاملِ الإيمانِ والمعرفةِ، فإنَّ أبا ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَبْلَ بُلوغِهِ المَرْتَبَةَ القُصْوى مِنَ المعرفةِ تَسابَّ هو وبلال الحَبَشيُّ المُؤَذِّنُ، فقالَ لَهُ: يا ابنَ السَّوداءِ. فَلَمَّا شَكا بلال إلى رسول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لَهُ:

«شَتَمْتَ بِلالا، وعَيَّرْتَهُ بسوادِ أمِّهِ!» ، قال: نَعَمْ. قال: «حَسِبْتُ أَنَّهُ بقِيَ فيكَ شَيْءٌ مِن كِبر الجاهلية» ، فَألقَى أبو ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

خَدَّهُ على التُّرابِ، ثُمَّ قالَ: لا أرفَعُ خَدِّي حَتَّى يطأ بلالٌ خَدِّي بِقَدَمِهِ .

والنَّاسُ اليومَ ـ والأمرُ لِلَّهِ ـ قد كَثُرت فيهم خصالُ الجاهِلِيَّةِ، فَتراهم يُعَيِّرونَ أهلَ البلدِ كلَّهم بِما صَدَر عن واحدٍ مِنهم، فأينَ ذلكَ مِن خصالِ الجاهِلِيَّةِ؟

الافتخار بولاية البيت

الافتخار بولاية البيت (السادسة والثمانون) :

الافْتخار بِولايَةِ البيتِ.

فَذَمَّهم الله تَعالى بقولِهِ: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [المُؤْمِنُون : ٦٧].

وهذه الآية بتمامِها ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [المُؤْمِنُون : ٦٦ - ٦٧].

وَمَعْنى الآية على ما في التَّفسيرِ: ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ تعليلٌ لقوله قَبلُ: ﴿لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾﴾ أي: دَعوا الصُّراخَ، فإنّه لا يمنعكم منَّا، وَلا يَنفعُكم عِندنا، فقدِ ارْتكَبْتُم أمرًا عظيما، وإثما كبيرا، وهو التكذيبُ بالآياتِ، فلا يدفعُه الصُّراخ، فكنتم عند تلاوتِها: ﴿عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾﴾ أيْ: مُعرِضونَ عن سماعِها أشدَّ الإعراضِ، فَضْلا عن تصديقِها والعملِ بها.

والنُّكُوصُ: الرُّجوعُ.

والأعقابُ: جمعُ عَقِبٍ وهو مُؤَخَّرُ الرِّجْلِ.

ورجوعُ الشَّخصِ على عَقبِهِ: رجوعُه في طريق الأوَّلِ، كما يقال: رَجَعَ عَوْدَه على بَدْئِه.

﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ﴾: بالبيتِ الحرامِ، والباءُ لِلسَّبَبِيّة وسُوغ بهذا الإضمارُ، مَعَ أنَّه لم يَجْرِ ذِكرُ اشتهار استبكارِهم، وافتخارِهم بأنَّهم خُدَّامُ البيتِ وقُوَّامُهُ.

﴿سَٰمِرًا﴾ أيْ: تسمرونَ بذكرِ القرآنِ والطَّعنِ فيه، وذلكَ أنَّهم كانوا يَجتمعون حول

البيتِ يَسْمُرونَ، وكانت عامَّةُ سَمرِهم ذكرَ القرآنِ وتسميتَه سِحْرا أو شعرا.

﴿تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ من الهَجْر ـ فتح فسكون ـ بمعنى القطع والترك، والجملة في موضع الحالِ، أيْ: تاركينَ الحَقَّ والقرآنَ أو النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على تقديرِ عودِ الضميرِ (به) له، وجاءَ الهَجْرُ بمعنى الهَذَيانِ.

وَجوِّزَ أنْ يكون المَعْنى عليه، أي : تَهْذونَ في شأنِ القرآنِ أو النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو أصحابه، أو ما يعُمُّ جميعَ ذَلكَ، وَيجوزُ أنْ يكون من الهُجْر ـ بضم فسكون ـ وهو الكلامُ القَبيحُ.

فأنكرَ الله تَعالى عليهم بقولهِ : ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾ لِيَعْلَموا ـ بِما فيه من وُجوه الإعجازِ ـ أنَّه الحَقُّ من ربِّهِم، فيُؤمنوا به.

﴿أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ أي: بَلْ جاءَهُم إلخ.

والمقصود: أنَّ من خصالِ الجاهِلِيَّةِ التكَبُّرَ بسببِ الرِّئاسةِ على المواضعِ المُقَدَّسَةِ، كما هو ـ اليومَ ـ حالُ كثيرٍ ممَّن يَدَّعي الشَّرَفَ بسببِ ذلكَ :

ـ فمِنهم مَنِ ادَّعى الشرفَ على المُسلِمينَ بسببِ رِئاستِهِ على مكَّةَ والمدينةِ.

ـ ومِنهم مَنِ ادَّعاه بسببِ الرِّئاسة في المَشاهِدِ أو مقاماتِ الصَّالحينَ، وهؤلاءِ الذين يَدَّعونَ انتِسابَهم إلى عبد القادرِ الجيلاني في بغدادَ يدَّعون الشَّرَفَ بسببِ رياستِهم على قبرِ عبدِ القادر، واستيلائِهم علىَ النُّذورِ والصَّدَقاتِ والذَّبائح والقرابين الشِّرْكيَّةِ، التي

يَتَعَبَّدُها بها جَهَلَةُ المُسلِمين مِنَ الهُنودِ والأكْرادِ ونحوِهِم، وهُمْ،[١] أفْسَقُ خَلْقِ الله، وأدْناهم نَفْسًا، وأرْذَلُ خَلْقِ الله مَسْلَكا، فما يفيدُهم ذلك عند الله شَيْئا، وما ينْجيهم مِنْ مَقْتِ الله وعذابه، وإنْ ظَنَّ بِهِمُ العوَامُّ ما ظَنُّوا، فَهم عند الله وعند عبادِهِ الصَّالحينَ أحقرُ من الذَّرّ، وأبعدُهم عن رحمتِهِ يومَ القِيامة.

(١) أي سدنة المشاهد والقبور.

الافتخار بكونهم من ذرية الأنبياء

الافْتِخار بِكَوْنِهِم مِنْ ذُرِّيَّةِ الأنبياءِ (**السابعة والثمانون**) :

الافْتِخار بِكَوْنِهِم مِنْ ذُرِّيَّةِ الأنبياءِ عليهم السلام.

فَرَدَّ الله عليهم **بقولِهِ**: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾ [البَقَرَة : ١٣٤].

تفسيرُها: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ الإشارةُ إلى إبراهيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأولاده في **قولِهِ**: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [البَقَرَة : ١٣٠] [البقرة: ١٣٠] إلخ.

و(**الأمَّة**) : أتَتْ لِمَعانٍ، والمرادُ بها ـ هنا ـ الجَماعةُ، مِن (أمَّ) بمعنى قَصَدَ، وَسُمِّيَتْ كُلُّ جماعة يَجْمَعُهُم أمرٌ ما: إمَّا دِينٌ واحدٌ، أو زمانٌ واحدٌ، أو مكان، بذلك؛ لأنَّهم يَؤُمُّ بعضُهم بعضا، وَيَقْصدُهُ.

والخُلُوُّ: المُضِيُّ؛ وأصلُه الانفرادُ.

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾ **والمَعْنى**: إنَّ انتِسابَكم إليهم لا يوجِبُ انتفاعَكم بأعمالِهم، وإنَّما تنتَفِعونَ بموافقتِهم واتِّباعِهم، كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:«**يا مَعْشَرَ قُريشٍ، إنَّ أوْلى النّاسِ بالنّبيِّ المُتّقَونَ، فَكونوا بِسَبيلٍ مِن ذَلِكَ فانظُروا أنْ لا يَلقاني النّاسُ يَحْمِلون الأعمالَ، وتَلْقَوني بالدُنيا، فَأصُدَّ عنكم بوجْهي**».

وهذا الحديثُ بمعنى **قوله تعالى**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ

خَبِيرُ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحُجُرَات : ١٣].

ومَعْنى قوله: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [البَقَرَة : ١٣٤] لا تُؤاخَذونَ بِسَيئاتِهم، كما لا تُثابونَ بحسناتِهم.

وهذه الخَصلةُ موجودة اليومَ في كثيرٍ مِن المسلمينَ، ورأسُ مالِهم الافتخارُ بالآباءِ، فَمِنهم مَن يقولُ: أنا مِن ذُرِّيّة عبدِ القادرِ الجيلانيِّ، ومِنهم مَن يقولُ: أنا مِن ذُرية أحمدَ الرِّفاعيِّ، ومِنهم مَن يقولُ: أنا بكريٌّ، ومنهم من يقول: أنا عُمَريّ، ومنهم من يقول: أنا علَويّ أو حَسَنِيٌّ أو حُسَينيّ، ولا فضيلةَ لهم ولا تَقْوى، وكلُّ ذلك لا ينفعُهم ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الشُّعَرَاء : ٨٨ - ٨٩] ورسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول لفاطمةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا : «**يا فاطمةُ بنتَ محمَّدٍ، لا أغني عنكِ مِن الله شَيْئًا**».

وما قَصَدَ أولَئك المُفْتَخِرينَ بآبائِهم ـ وهم عارونَ عن كُلِّ فضيلةٍ ـ إلا أكل أموالِ النَّاسِ بالباطلِ، وفي المثل: (كُنْ عِصاميًّا، وَلا تكنْ عِظاميًّا).

إنَّ الفَتَى مَن يقولُ هـــا أنا ذا ❁❁❁ لَـــيْسَ الفَتَى مَنْ يقولُ كانَ أبي

وللَّهِ دَرُّ مَن قال يَرُدُّ على المفتخِرِ بذَلِكَ:

أقولُ لِمَن غَدا في كُلِّ يـــومٍ ❁❁❁ يُـــباهينا بأسلافٍ عِظامِ

أتَقْنَعُ بالعِظامِ وأنـــتَ تَدْري ❁❁❁ بـــأنَّ الكَلبَ يَقْنَعُ بالعِظامِ

وقال آخَرُ:

وما الفَخْرُ بالعَظْمِ الرَّميمِ وإنَّما ❁❁❁ فـــخارُ الذي يَبْغي الفَخار بِنَفْسِهِ

الافتخار بالصنائع

الافتخار بالصنائع (الثامنة والثمانون) :

الافْتِخارُ بِالصَّنائِعِ، كَما افْتَخَرَ أهلُ الرحلتينِ على أهلِ الحَرْثِ. يُرِيدُ بِالرِّحلَتَينِ: رِحْلَةَ الشِّتاءِ إلى اليَمَنِ، وَرِحْلَةَ الصَّيْفِ إلى الشَّامِ، وَهِي عادَةٌ كانتْ لِقُريشٍ، كَما ذُكِرَ في سورةِ الإيلافِ.

والمقصودُ: أنَّه لا يَنبغي للتَّاجر أنْ يَفْتَخِرَ بِتِجارته على أهل الحرث، ولا أهلِ كلِّ حِرفةٍ على المُحْتَرفينَ بِحِرْفَةٍ أخْرى، فإنَّ كُلَّ ذَلِكَ مِنَ المكاسِبِ الدُّنْيَوِيَّةِ التي يَوَصَّلُ بها إلى عِبادةِ الله، وطاعتِه، وامتثالِ أوامرِه، واجتنابِ نواهِيه، لِيتوَصَّلَ بِذَلِكَ إلى النَّجاةِ الأبديَّةِ، وهي مدارُ الفخرِ.

وأمَّا ما سِوَى ذَلِكَ فَكُلُّهُ ظِلٌّ زائِلٌ ونَعيمٌ غيرُ مُقيمٍ، فلا يَنبغي لِلعاقِلِ أنْ يَفْخَرَ بِزَخارِفِ الدُّنيا الدَّنيئَةِ، ولا يَعْلَمُ مَتى يُفارِقُها.

نَسأله تَعالى التوفيقَ، والعملَ الصالحَ الذي يُرضِيه.

عظمة الدنيا في قلوبهم

عظمة الدنيا في قلوبهم (التاسعة والثمانون) :

عَظَمَةُ الدُّنيا في قُلوبِهم. كَقَولهم: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٖ ٣١﴾ [الزُّخرُف : ٣١] أيْ: مِن خِصال الجاهلية مُراعاةُ الدُّنْيا، وعَظَمَتها في قُلوبِهم، كَما حَكى الله عنهم ذلكَ بقوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٣٠ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ٣١ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٣٢﴾ [الزُّخرُف : ٣٠ - ٣٢].

وَمَوْضِعُ الاسْتِشهادِ فيها قولُه: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٖ ٣١﴾ [الزُّخرُف : ٣١].

المُرادُ مِنَ القَريتينِ: مكَّةُ والطَّائفُ.

قال ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : الذي مِن مكَّةَ: الوليدُ بنُ المُغيرةِ المَخزوميُّ، والذي مِن الطَّائفِ: حَبيب بنُ عمرِو بنِ عُمَيرٍ الثقَفيُّ، وكُلّ مِنهما كان عَظيما، ذا جاهٍ ومالٍ، وكان الوليدُ بنُ المغيرةِ يُسَمَّى رَيْحانةَ قريشٍ ، وكانَ يقولُ: لو كانَ ما يقولُ محمَّدٌ حقّا لَنَزَلَ عَليَّ أو على أبي مَسعودٍ، يعني عُروةَ بنَ مسعودٍ، وكان يُكنى بِذَلِكَ. اهـ

وهذا بابٌ آخَرُ من إنكارِهِم للنُّبُوَّةِ، وذَلِكَ أنَّهم أنكَروا أوَّلا أنْ يكونَ النَّبيُّ بَشَرا، ثُمَّ لَمَّا بُكِّتوا بِتكريرِ الحُجَجِ، ولم يَبْقَ عندهم تصوُّرُ رَواجٍ لِذَلِكَ، جاءوا بالإنكارِ مِن وجهٍ

آخَرَ، فَحَكَموا على الله سُبحانه أنْ يَكونَ الرَّسولُ أحَدَ هذينِ.

وقولُهُم: ﴿هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ﴾ ذِكْرٌ لهُ على وَجهِ الاسْتِهانة،لأنَّهم لم يَقولوا هذهِ المَقالةَ تسليما، بَل إنكارًا، كَأنَّه قيلَ: هذا الكذبُ الذي يَدَّعيه، لَوْ كانَ حَقّا، لكانَ الحَقيقَ به رجلٌ مِن القَريتينَ عَظيم.

وَهَذَا منهم لِجَهْلِهم بأنَّ رتبةَ الرِّسالةِ إنَّما تَستدعي عظيمَ النَّفسِ بالتَّخَلِّي عن الرَّذائلِ الدَّنِيَّةِ، والتَّحَلِّي بِالكمالاتِ والفَضائلِ القُدْسِيَّة، دونَ التَّزخْرُفِ بِالزَّخارِفِ الدُّنْيَويَّةِ.

فَأنْكَرَ سُبحانَه عَلَيْهم بِقولِهِ: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ وفيهِ تَجْهيلٌ وَتَعْجيب مِن تَحَكُّمِهم بِنزولِ القرآنِ العَظيمِ على مَن أرادوا.

﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ قِسمةً تَقْتَضيها مشيئَتُنا المَبنيَّةُ على الحِكمِ والمَصالحِ، ولم نُفَوِّضْ أمرَها إلَيْهم، عِلمًا مِنَّا بعَجْزِهِم عَن تَدبيرِها بالكُلِّيَّةِ.

﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ﴾ في الرِّزْقِ وسائرِ مبادئ العَيْشِ.

﴿دَرَجَٰتٍ﴾ مُتَفاوِتَة بِحَسَبِ القُربِ والبُعدِ حَسْبَما تَقتضيه الحِكْمَة، فَمِن ضعيفٍ وقويٍّ، وَغنيٍّ وفقيرٍ، وخادم ومخدومٍ، وحاكمٍ ومحكومٍ.

﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزُّخرُف : ٣٢] لِيَستعملَ بعضهم بعضا في مصالحِهم، ويَسْتخدِموهم في مِهَنِهم، وَيُسَخِّروهم في أشغالِهم، حَتَّى يَتَعايَشوا، ويَتَرافدوا، وَيَصِلوا إلى مرافِقهم، لا لكمالٍ في المُوَسَّع عَلَيْهِ، ولا لِنَقصٍ في المُقَتَّر عَلَيْهِ، وَلَوْ فَوَّضْنَا ذَلِكَ إلى تدبيرِهِم لَضاعوا وَهَلَكوا، فإذا كانوا في تدبير خُوَيْصةِ أمرِهم، وما يُصْلِحُهُم مِن مَتاع الدُّنْيا الدَّنِيَّةِ وهو على طَرَف الثُّمامِ بِهذِهِ الحالة، فما ظَنُّهُم بِأنْفُسِهم في تدبيرِ أنفسِهم، وفي

تدبيرِ أمرِ الدِّينِ، وهو أبعدُ مِن مَناطِ العَيُّوقِ، ومِن أينَ لهمُ البحثُ في أمرِ النُّبُوَّةِ، والتَّخَيُّر لها مَن يَصلُحُ لها، ويقومُ بأمرِها.

وفي قوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا﴾ [الزُّخرُف : ٣٢] إلخ ما يُزَهِّدُ في الانكبابِ على طَلَبِ الدّنيا، ويُعينُ على التَّوكُّلِ على الله عز وجل، والانقطاع إليهِ جَلَّ جلالُه.

فـــــاعْتَبِرْ {نَحْنُ قَسَمْنا بَيْنَهُمْ} ❁❁❁ تـــــــــــلْقَهُ حَقًّا وَبِالْحَقِّ نَزَلَ

﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ أيْ: النُّبُوَّةُ وَما يَتْبَعُها مِن سَعادةِ الدَّارَيْنِ خَيْر مِمَّا يَجْمَعونَه مِن حُطامِ الدنيا الدَّنِيّة، فالعظيمُ مَن رُزِقَ تلكَ الرَّحْمةَ دونَ ذَلِكَ الحُطامِ الدَّنِيءِ الفاني. وَأنْتَ تَعْلَمُ أنَّ كثيرا مِنَ النَّاس اليومَ على ما كانَ عليه أهلُ الجاهِلِيَّةِ في هذهِ الخَصْلَة، فَتراهم لا يَعْتَبِرونَ العِلمَ إذا كانَ صاحِبُه فقيرَ الحالِ، ويَنْظُرونَ إلى الغنِيِّ، وَيَعْتَبِرونَ أقوالَه. ولِلَّهِ درُّ من قال[1]:

ربَّ حِلْمٍ أضاعَه عَـــــدَمُ المَا ❁❁❁ ل وَجَـــــــــــهْلٍ غَطَّى عَلَيْهِ النَّعيمُ

(١) هو حسان بن ثابت الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شاعر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ازدراء الفقراء

ازدراء الفقراء (**التسعون**) :

ازْدِراءُ الفُقَراءَ. **فَأَنْزَلَ سُبْحانَه قولَه:** ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأَنْعَام : ٥٢].

أقولُ: هذه الآية في أوائلِ سورة الأنْعام، وَبَيانُ مَعناها يَتَعَلَّقُ بِمَا قَبْلَها، وهو **قوله تَعالى**: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأَنْعَام : ٥١ - ٥٢] فَلَمَّا أُمِرَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِنْذارِ المذكورِينَ لَعَلَّهم يَنْتَظِمونَ في سِلْكِ المُتقينَ، نُهِيَ عَن كونِ ذَلِكَ بِحَيثُ يُؤَدِّي إلى طردِهِم.

✍ ويُفْهَم مِن بعضِ الرِّواياتِ أنَّ الآيتَينِ نَزَلَتا مَعًا، ولا يُفْهَمُ ذَلِكَ مِن البعضِ الآخَرِ.

📖 فقد أخرجَ الإمامُ أحمدُ والطَّبَرانيُّ وغيرُهما عن ابنِ مسعودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: مر المَلأ مِن قُريش على النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعنده صُهَيْب وعَمَّارٌ وبِلالٌ وخَبَّابٌ ونحوُهُم مِن ضُعَفاءِ المُسْلِمينَ، فقالوا: يا محمَّدُ، رَضيتَ هؤلاءِ مِن قومِك، أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا؟ ، أنَحن نكونُ تَبَعًا لِهَؤلاءِ؟ اطْرُدْهُم عَنكَ، فلعلَكَ إنْ طَرَدْتَهم أنْ نَتَّبِعَكَ. **فأَنْزَلَ الله تَعالى** فيهِمُ القرآن: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ﴾ [الأَنْعَام : ٥١] إلى **قوله سبحانه**: ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأَنْعَام : ٥٢] .اهـ

📖 وَأَخْرَجَ ابنُ جَريرٍ وأبو الشَّيخِ والبَيْهَقيُّ في "**الدَّلائِلِ**" وغيرُهُم عن خَبَّاب

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاءَ الأقرعُ بنُ حابسٍ التَّميميُّ وعُيَيْنَةُ بنُ حِصْنٍ الفَزارِيُّ، فَوَجَدا النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاعِدًا مَعَ بِلالٍ وصُهَيبٍ وَعَمَّارٍ وخَبَّابٍ في أناسٍ ضُعَفاءَ مِن المؤمنينَ، فَلَمَّا رَأوْهُم حَوْلَه حَقَروهُم، فَأتَوهُ، فَخَلَوا بِهِ، فقالوا: نُحِبُّ أنْ تَجعلَ لَنَا مِنكَ مَجْلِسًا تَعْرِفُ لنا العربُ بِهِ فَضْلَنا، فإنَّ وُفودَ العَرَبِ تَأتيكَ، فَنَسْتَحْي أنْ تَرانا قُعودًا مَعَ هؤلاءِ الأعْبُدِ، فإذا نَحنُ جِئْناكَ، فَأقِمْهُم عَنَّا، فإذا نحنُ فَرَغْنا، فاقعُدْ معهم إنْ شِئتَ، قال: «نَعَم».

قالوا: فاكتُبْ لنا عليكَ بِذلِكَ كِتابا، فَدَعا بالصَّحيفةِ، وَدَعَا عَلِيّا لِيَكْتُبَ ـ ونحنُ قُعود في ناحِيةٍ ـ إذْ نزلَ جبْريلُ بهذِه الآية: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ﴾ [الأنعام: ٥٢] إلخ، ثُمَّ دَعانا، فَأتَيْناهُ وهو يقول: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤] فَكُنَّا نَقْعُدُ مَعَهُ، فإذا أرادَ أنْ يقومَ قامَ وَتَرَكَنَا، **فأنزلَ الله تعالى**: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨] فكان رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقعدُ معنا، فإذا بلغَ السَّاعَةَ التي يقومُ فيها قمنا وَتَرَكْناه حَتّى يقومَ.اهـ

📖 وَأَخْرَجَ ابنُ المُنذِرِ وغيرهُ عن عكرمة رَحِمَهُ اللَّهُ قالَ: مَشَى عُتْبَةُ وَشَيْبَةُ ابْنا رَبيعَةَ وَقُرَظَةُ بنُ عبدِ عَمرِو بنِ نَوْفَل، والحارثُ بنُ عامِرِ بن نَوفَلَ، وَمُطْعِمُ بنُ عَدِيٍّ في أشرافِ الكُفَّارِ مِن عَبدِ مَنافٍ إلى أبي طالبٍ، فقالوا: لو أنَّ ابنَ أخيكَ طَرَدَ عَنَّا هؤلاءِ الأعْبُدَ والحُلَفاءَ، كان أعظمَ له في صُدورِنا، وأطوعَ له عِنْدَنا، وأدنى لاتِّباعِنا إيَّاه وتَصْديقه، فَذَكَرَ ذَلِكَ أبو طالبٍ للنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقال عُمَرُ بنُ الخطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَوْ

فعلتَ يا رسولَ الله حَتّى ننظُرَ ما يُريدونَ بقولهم، وما يَصيرونَ إليه مِن أمرِهم، **فأنزلَ الله سُبْحانَه:** ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ [الأنعام: ٥١] إلى **قوله سُبحانه:** ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ۝٥٣﴾ [الأنعام: ٥٣] وكانوا بِلالا وعَمَّارَ بنَ ياسِرٍ وسالِمًا مولى حُذَيْفَةَ وَصبيحًا مولى أسيد، والحُلفاءُ: ابنُ مسعودٍ والمِقدادُ بنُ عمرو وواقدُ بنُ عبدِ اللهِ الحَنْظَليُّ وعمرُو بنُ عبدِ عمرٍو ومَرْثَدُ بنُ أبي مَرْثَدٍ وأشباهُهُم، وَنَزلَ في أئِمَّةِ الكُفرِ مِن قُريشٍ والمَوالي والحلفاء: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٥٣] فَلَمَّا نَزَلَت أقبلَ عُمَرُ، فاعْتَذَرَ من مَقالتِه، **فَأَنْزَلَ اللهُ تَعالى:** ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الأنعام: ٥٤] **وقولُه:** ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٥٢] جملة مُعترَضَة بَين النَّهي وجوابِهِ، تقريرا له، ودَفعا لما عَسى أنْ يتوهَّمَ كونُهُ مُسَوغا لطردِ المُتَّقينَ من أقاويلِ الطَّاعنينَ في دينهم، كَدأْبِ قومِ نوحٍ حيثُ قالوا: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾ [هود: ٢٧].

والمعنى: ما عليك شيءٌ ما مِن حساب إيمانِهم وأعمالِهم الباطنةِ، كما يقولُه المشركونَ، حَتّىَ تَتَصَدَّى لَهُ، وَتَبْني على ذلكَ ما تراه من الأحكامِ، وإنَّما وظيفتك ـ حَسْبَما هو شأنُ مَنْصِبِ الرِّسالة ـ النَّظَرُ إلى ظواهرِ الأمورِ، وإجراءُ الأحكامِ على موجَبِها، وتفويضُ البواطنِ وحسابِها إلى اللطيفِ الخبيرِ، وظواهرُ هَؤلاءِ دعاءُ ربِّهم بالغداةِ والعشيِّ.

📖 ورُوِيَ عن ابنِ زيدٍ أنَّ المعنى ما عليكَ مِن شيْءٍ مِن حسابِ رِزْقِهم، أيْ: مِن فقرِهِم، والمرادُ لا يَضُرُّكَ فقرُهُم شَيْئا لِيَصِحَّ لك الإقدامُ على ما أرادهُ المشركون مِنكَ فيهم.

وقولُهُ: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٥٢] عطفٌ على ما قَبْلَهُ، وَجِيءَ بِهِ ـ مَعَ أنَّ الجوابَ قد تَمَّ بِذَلِكَ ـ مبالغةً في بيانِ كونِ انتفاءِ حسابِهم عليهِ يَنْظِمُهُ في سِلْكِ ما لا شُبهةَ فيه أصْلا، وهو كون انتفاءِ حسابِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِم، فهو على طريقةِ قوله سُبحانَه ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النَّحل: ٦١] وهذا في رأي.

وقال الزَّمَخْشَرِيُّ: إنَّ الجُملَتَينِ في مَعنى جملةٍ واحدةٍ يُؤَدِّي مُؤَدَّى ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الزُّمَر: ٧] كَأنَّهُ قيلَ: لا تُؤاخَذُ أنتَ ولا هُم بِحساب صاحِبِهِ، وحينئذٍ لا بدَّ مِنَ الجُملَتَينِ، وَتُعُقِّبَ بأنَّهُ غيرُ حَقيق بجلالةِ التَنزيلِ.

وقولُهُ: ﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنعام: ٥٢] جَواب للنَّهْيِ.

إنكارهم الملائكة والوحي والرسالة والبعث

إنكارهم الملائكة والوحي والرسالة والبعث (**الحادية والتسعون**) :

عَدمُ الإيمانِ بملائكةِ الله وكُتبِه ورُسُلِه واليومِ الآخرِ، والكلامُ على ذلكَ مُفَصَّلٌ في التفسيرِ وكُتُبِ الحَديثِ والعقائِدِ. والآياتُ في ذلكَ كثيرة، مِنها قولُهُ تَعالى [التغابن: ٧] : ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧﴾ [التَّغَابُن : ٧] وَمِنَ الشِّعْرِ الجَاهِلِيِّ في إنكارِ البَعْثِ والنُّشورِ:

وما ذا بالقَليبِ قَليبِ بَدْرٍ ❁❁❁ مِنَ الشِّيزى تزَيَّنُ بالسَّنامِ

ومَاذا بالقَليبِ قَليبِ بَدْرٍ ❁❁❁ مِنَ القَيْناتِ والشَّرْبِ الكِرَامِ

تُمَنِّينا السَّلامةَ أمّ بَكْرٍ ❁❁❁ فهَلْ لِي بَعْدَ قَومي مِنْ سَلام

يُحَدِّثُنا الرَّسُول بأنْ سَنَحْيا ❁❁❁ وكَيْفَ حَياةُ أصداءٍ وَهام

وقال آخرُ:

حياة ثُمَّ موْتٌ ثُمَّ نَشْرُ ❁❁❁ حديثُ خُرافةٍ يَا أمَّ عَمْرو

وَمِنَ الآيات الدَّالةِ عَلى ذَلِكَ **قولُهُ تَعالى** : ﴿أَإِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ٤٧ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ٤٨﴾ [الوَاقِعَة : ٤٧ - ٤٨].

وَقَدْ تكَلَّمْنا عَلى مُعْتقَداتِ الجاهلية وَأدْيانِهم في غَيْرِ هذا الموضعِ.

إيمانهم بالجبت والطاغوت

إيمانهم بالجبت والطاغوت (**الثانية والتسعون**) :

الإيمانُ بالجِبْتِ وَالطَّاغوتِ، وتَفْضيل دينِ المُشرِكينَ على دينِ المسلمين.

قَالَ تَعَالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ۝٥١﴾ [النِّسَاء : ٥١].

وقد تَقَدَّمَ الكَلامُ على ذلكَ مُفَصَّلا.

والمقصود : ـ هُنا ـ أنَّ جَهَلَةَ الكِتابِيِّينَ كانوا يَقولونَ لِلمُشرِكينَ: أنْتُم أهْدى من المُسلِمينَ، وَما عِندَكُم خَيْرٌ مِمَّا عَلَيْهِ مُحَمَّد وَأَصْحَابُهُ، وَتَرى المُتَصَوِّفَةَ والغُلاةَ اليومَ على هذا المَنْهَجِ، يَقولونَ: إنَّ دُعاةَ أهلِ القُبورِ والغُلاةَ خَير مِمَّن يَمْنَعُ عن ذَلِكَ مِن أهل التَّوحيدِ وحُفَّاظِ السُّنَّةِ.

كتمان الحق مع العلم به

كتمان الحق مع العلم به (**الثالثة والتسعون**) :

كِتْمانُ الحَقِّ مَعَ العِلْمِ بِهِ. كما حَكى الله ذَلِكَ عَن أحبارِ بَني إسرائيلَ مِنَ اليَهودِ والنصارى، فَقَدْ كَتَموا ما وَرَدَ فِي كُتُبِهِمْ مِنَ البشائرِ المُحَمَّدِيَّةِ، وَهُم يَعلَمونَ بِوُرودِها وَذِكْرِها في كُتُبِهِمْ. والكَلامُ على هذا البابِ مُفَصَّلٌ في "**الجَوابِ الصَّحيح**" لِشَيخِ الإسلامِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فَعَلَيْكَ بِهِ، فَإِنَّهُ كِتابٌ لَمْ يُؤَلَّفْ مِثْلُهُ.

القول على الله بلا علم

القول على الله بلا علم (**الرابعة والتسعون**) :

القَولُ على الله بِلا عِلْمٍ. وهو أساسُ كُلِّ فَسادٍ وَأَصْلُ الضَّلال.

وأكثرُ النَّاس حَظًا مِن هذه الخَصلةِ الجاهلية مُبْتَدِعَةُ المُتكَلِّمينَ، فَقَدْ تكَلَّموا في الصِّفاتِ الإلهية بِمَا لَمْ يُنْزِلِ الله بِهِ مِن سُلْطانٍ، وَأوَّلوا نُصوصَ الشَّريعَةِ بِمَا تَهْواه أنْفُسُهُم، كَما فَعَلَه الرَّازيُّ في كتابِهِ: "**أساسُ التَّقديسِ**".

وَجزى الله شيخَ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ خيرا، فَقَدْ رَدَّ عَلَيْهِ، وَنقَضَ أساسَهُ، وَسَجَّلَ ضَلالَهُ وَجَهْلَهُ، وَضَيَّقَ أنْفاسَه، ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البَقَرَة : ٢٥١].

التناقض

التناقض (**الخامسة والتسعون**) :

التَّناقضُ الواضِحُ.

قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِيٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥﴾ [ق : ٥] وَهكَذا أهْلُ البدَعِ مِنَ الغُلاةِ وَغَيْرِهِم يَدَّعونَ الإسلامَ، ويَعْمَلونَ أعْمالا تُناقِضُ ما هُم عَلَيْهِ مِنَ الدِّينِ.

الكهانة وما في حكمها

الكهانة وما في حكمها (السادسة والتسعون – والسابعة والتسعون – والثامنةوالتسعون – والتاسعة والتسعون – والمائة) :

العِيافةُ، والطرقُ، والطِّيَرَةُ، والكهانَةُ، والتَّحاكُمُ إلى الطَّاغوتِ، ونحو ذَلِكَ.

وَقَدْ تكَلَّمْنا على هذِهِ الأمورِ في كتابِنا "**بُلوغُ الأرَبِ في أحوالِ العَرَبِ**" بِمَا لا مَزيدَ عَلَيْهِ، وَذَكَرْنَا هناكَ أوابِدَهُم وَخُرافاتِهم وسائِرَ ضلالاتِهم، وَكُلُّ ذَلِكَ مِن أعمالِ جَهَلَةِ المُسلِمينَ اليومَ، وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا.

✍ وغالِبُ مسائلِ الأصلِ رؤوسِ مسائلَ في كتاب "**اقتضاء الصِّراطِ المُستقيمِ**" ومَنَ أرادَ التّفصيلَ فَلْيَرْجِعْ إِلَيْهِ.

وَهذَا آخِرُ ما أرَدْنَا شَرْحَهُ مِنَ المَسائِلِ الَّتي أبْطَلَها الإسلامُ، والحمدُ لِلَّهِ وَلِيِّ الإنعامِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلى خَيْرِ الأنامِ، ومِصباحِ الظَّلامِ، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بإحْسانٍ.

✍ **في ٥ ذي الحجة وهو يوم الخميس بعد الظهر من سنة ١٣٢٥ هـ.**

تم بحمد الله